

روايات الجيب
ملك القرصان

ملك القرصان

قصة رائعة حافلة بمغامرات القراصنة

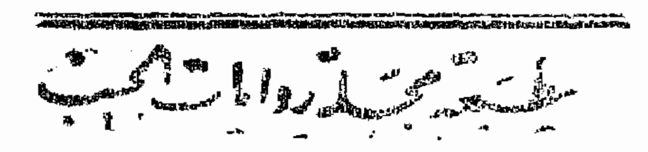
بطلها الكابتن مورجان
أعظم القراصنة في تاريخ البحار
الرجل الذي نسج على منواله الكابتن بلود

تأليف الكاتب الانجليزي الكبير

بولت

تعريب الاستاذ

شفيق أسعد فريد



الفصل الاول

نهض جيمس وينتر واقفا بين أشجار التبغ ، وجفف العرق الذى تصبب على جبهته بذراعه العارية ، ثم اتكأ على مقبض الجاروف

كان رجلا طويل القامة ، ولكنه هزيل كالذئب الجائع ، لفحت الشمس المحرقة وجهه ، وارتسمت فى عينيه السوداوين نظرة القنوط ، ولم يكن يستر جسمه غير سروال (بنطلون) قصير لا يكاد يتعدى ركبتيه ،وقميص بال ذهب لونه ، وأما قدماه فكانتا عاريتين ، بينما يرى المتأمل لمعصميه أثر جروح غائرة تدل على أنه عانى هول القيد مراراً ، ومن خلال تمزق فى قميصه كانت تبدو جروح أخرى مابين قديمة وحديثة هى أثر ضربات السوط التى يتعرض لها التعس مابين الفينة والفينة

((*))

أدار جيمس وينتر بصره فى الحقل ، فرأى على مبعدة ،ثلاثةمن الزنوج يعملون مثله بين أشجار التبغ النامية أثناء النهار ، ويأوون معه إلى الكوخ الضيق المصنوع من شجر النخيل إبان الليل

أطرق الشاب برأسه نفورا واستياء ، كانوا يعملون كالسائمة رغم أنوفهم تحت أشعة الشمس المحرقة ، فان امتعضوا أو أبدوا أى تذمر ، هوى عليهم صاحب المزرعة بسوطه حتى يكاد يفقدهم الوعى ، دون أن يجرأ أحدهم على الاعتراض وتنهد جيمس وينتر ، وتذكر أن صاحب المزرعة اشتراه منذ سبع سنوات فى مزاد علنى ، أذاقه خلالها ألوان الألم والهوان فدبت فيه روح التمرد ، وغمغم من بين أسنانه : كلا ، وربى !

وفى اللحظة التالية سمع صوتاً خافتا صادرا من خلفه ، وقبل أن يتمكن من الاستدارة على عقبيه ، مزق السكون زفيف سوط ، وما لبث الشاب التعس أن أحس بألم شديد بين كتفيه ، فوثب من مكانه كالملسوع ، وواجه كبير عمال المزرعة وشرر الغضب يتطاير من عينيه

وصاح القادم بحدة : استمر فى عملك أيها الكلب !

وهوى بسوطه فوق عنق وينتر للمرة الثانية ، فأن الشاب أنينا موجعا ولكنه حبس الصرخة المروعة التى كادت تفلت من بين شفتيه ، ثم رفع الجاروف وتمثلت فى عينيه نظرة جعلت كبير العمال يزأر قائلا :

— أوه ! هل تجرؤ ؟ سوف أمزق لحمك أيها الخنزير !

ورفع السوط فى الهواء ، ولكنه مالبث أن سقط من يده ، فقد أصابه الجاروف فى أعلا خده الأيمن إصابة قاتلة ، جعلته يترنح ، ثم يسقط بين أشجار التبغ ، ويتلوى كالحية ، ثم انقلب على جنبه الأيمن ، وانتفض قليلا وما لبث أن خمدت حركته تماما .. والدم ينزف من جرح غائر فى خده

وراح جيمس وينتر يحملق فى وجه الرجل بعينين تنطقان بأبلغ معانى التشفى والحقد .. ولم يشعر بأسف أو ندم فقد نال رئيس العمال مايستحق بل ربما أقل مما يستحق

لم يشك فى أنه قد مات .. ولكن ذلك لم يزعجه ، بقدر ما أزعجته الصيحات التى مزقت السكون فى تلك الاثناء .. فالتفت خلفه .. ورأى الزنوج الثلاثة يركضون نحوه ، وأدرك أنهم قادمون للقبض عليه

كان أول القادمين قد اقترب منه كثيرا .. بينما أبطأ رفيقاه لثقل حركتهما ، ومن ثم صحت نية وينتر على أمر ، فركض نحو القادم . وقد أعد الجاروف لضربة قاضية

وفى التو ، توقف الزنجى عن العدو ، وارتسمت فى عينيه نظرة ذعر شديد . ثم صرخ صرخة مروعة ، ونكص على عقبيه ، وأطلق ساقيه للريح . فتبعه وينتر لعدة ياردات ، ثم انعطف فجأة الى اليمين حيث وقعت عيناه على سور منخفض يحيط بالمزرعة ، ومن ورائه الغابة الكثيفة الاشجار

وتنفس جيمس الصعداء ، وقدر أنه ان أفلح فى عبور الغابة بسلام ، فقد يتمكن من الوصول الى بورت رويال ، وهناك يستقل احدى السفن ، ويذهب الى أى مكان يعتقد أنه سيكون فيه بمأمن من كل سوء .

وكان قد وصل الى السور فى تلك اللحظة ، فتخطاه وثبا ، ثم انطلق عدوا ، وما لبثت الغابة ان ابتلعته

لم يكن يجهل ان صاحب المزرعة وعمالها سيخفون لمطاردته ، وان نجاته متوقفة على عبوره الغابة دون ان يقع فى قبضتهم ، وكان الطريق ممهدا بادىء الأمر ، فاستطاع ان يقطع شوطاً بعيداً دون أن يعرقل تقدمه عائق ، ولكن مالبثت أغصان الأشجار المتشابكة ان بدأت تسد عليه المسالك ، وهاجمه البعوض والذباب بقسوة ، وبدأت الأغصان الشائكة تصيبه فى وجهه وقدميه ، فتدميها وتؤلمه ألما لايطاق ، ولكنه لم يعبأ بذلك كله ، واستمر يعدو ، وكأن شياطين الجن تطارده ، حتى أشرف فى النهاية على منحدر شديد ، هبطه على عجل .. فألفى نفسه فى مستنقع راكد .. راح يخوضه بغير تردد .. فقد كان يدرك ان الابطاء أوالتقهقر معناه الموت المحقق

وأخيراً ، بلغ نهاية المستنقع .. فتوقف هنيهة ريثما يلتقط أنفاسه .. وينتزع الأشواك التى انغرست فى لحمه .

وبعد قليل استأنف الركض .. ولم يكن يتوقف الا ليصيخ السمع .. حتى إذا اطمأن الى ان المطاردين لم يقفوا على أثره بعد .. انطلق كالسهم لا يلوى على شىء ومضت ثلاث ساعات تقريباً .. قطع فى خلالها نحو سبعة أميال .. وحينئذ توقف مرة أخرى وارهف أذنيه .. ولكنه مالبث ان انتفض فقد عكر صفو السكون صوت أشبه بصوت الاجراس التى تعلق فى أعناق كلاب الصيد .

وأجفل الهارب .. وأدرك أنه هالك لا محالة .. ولكنه اطمأن نوعا حين أدرك من صوت النواقيس الخافت ان مطارديه ما زالوا بعيدين بعد .. واستمد من قنوطه شجاعة .. وركض بكل قوته

واخيرا اشرف على مجرى ماء ، فهتف بابتهاج : شكرا لله !

ووثب فى الماء ، وظل يسبح مايقرب من نصف ميل ، ثم ولى وجهه شطر الشاطىء الثانى ، واستأنف العدو كالمجنون ..

وعندما آذنت الشمس بالمغيب ، كان قد بلغ طرف الغابة . والفى نفسه فى ارض منبسطة فى نهايتها مروج خضراء ، وحديقة غناء ذات طلع نضيد

واذ بلغ المروج ، اندفع بين اشجارها كالسهم حتى وصل الى الحديقة وعندئذ كف عن العدو وجمد فى مكانه ..

رأى امامه منزلا تـكاد تحجبه الاشجار ، وعلى قيد اربع ياردات وفوق مقعد مصنوع من الغاب ، وقع بصره على فتاة ترتدى ثيابا فاخرة ، كانت تلاعب قردا صغيرا ورفعت الفتاة رأسها عندما سمعت وقع اقدام الهارب . ونظرت اليه دون وجل أوذعر .. ثم رفعت يدها إلى شفتيها محذرة .. ثم قالت بلغة انجليزيةفصحى تخالطها اللهجة الاجنبية:

— صه ياسيدى ، والا فوت على (جا كو) تدريبه .. تمهل !

فتحول الشاب ليستأنف فراره ، ولـكنه سمعها تقول للقرد :

— لاتنزعج ياجا كو .. ليس ثم مايدعو الى العجلة والا فقدت الجائزة ! فنظر وينتر إلى الفتاة مأخوذا .. فرا ها ترمقه من بـين اهدابها الطويلة ، وقد تألقت فى عينيها نظرة الاعجاب ، والفضول ..

وفجأة .. سألته : من انت ؟ فاجاب بهدوء : اسمى جيمس وينتر .. واعرف فى انجلترا باسم السير جيمس

— وهنا فى جاميكا ؟رقيق ؟ اليس كذلك ؟

— نعم .. حتى هذا الصباح ، واما الآن فلا !

فقالت متسائلة : أرقيق هارب انت ؟

— نعم ، لك ان تعتقدى ذلك ، وأما انا فاعتبر نفسى حراً كأعظم رجل هنا فأومأت برأسها ، واخذت تطيل النظر إلى وجهه . ثم قالت بصوت هادئ : تقول انك حر ؟ ! حسنا ! لعلك قتلت رجلا ؟

فأجاب الشاب بحمية : لـكم ارجو ان اكون قد وفقت فى ذلك

فبدت على وجهها علامات الاهتمام ولـكنها ظلت على رباطة جأشها .. وسألته : ومن هو ؟ — كبير العمال ! شيطان يلذ له ان يلغ فى دماء اعوانه التعساء فأومأت مرة أخرى . وقالت : لـكن كيف اتفق وانت الرجل المهذب ان تقع بين مخالب هؤلاء الوحوش ؟

— مؤامرة سياسية .. وثم ابن عم كالثعلب كان يسعى للحصول على ضيعتى موشى لى فقالت برفق : أحقا ؟ اخبرنى . ماذا يحدث لو قبضوا عليك ؟

— لا أقل من الشنق إذا كان كبير العمال قد قضى

فافتر ثغرها الدقيق بابتسامة رقيقة .. وقالت :

— لا أظن أنى أرضى بشنقك

فتألقت عيناه ببريق الغبطة . وهتف بصوت يفيض رقة :

— لاأظن انى أيضا أرضى بذلك . وإذن فنحن متفقان قلبا وقالبا

فقالت بتهكم : قلبا وقالبا ! .

فضحك وأجاب : نعم . . ضد جاميكا باجمعها ياسيدتى .

فاصطبغ خدا الفتاة بحمرة الخجل . . وغضت من بصرها . . وبعد هنيهة نظرت اليه وقالت بشيء من الحدة : أبلغت بك الجرأة أن تدعى . . ؟

فقاطعها على عجل : كلا . . انى شاكر لك عطفك !

— اوه ! دعنا من ذلك ! هل أنت راغب فى الذهاب الى البحر ؟

— انى أقصد بورت رويال

— ولكنك لن تصل اليها . فطالما حاول الهاربون من قبلك أن يبلغوها ففشلوا . . فان مطارديهم كانوا لهم دائما بالمرصاد . واقتنصوهم فى الطريق

فقال بغير ماوجل : ولكنى سأذهب اليها ليلا

— ولكنهم مع ذلك قد يظفرون بك . . اللهم إلا اذا جاءتك المساعدة

— المساعدة !! ومن أين . .

وتوقف فجأة عندما لاحظ النظرة التى كانت مرتسمة فى عينيها . وهمس:

— أنت ؟ أنت ؟ فأجابت بهدوء : ولم لا ؟ انك لست مجرما .

فقال بصوت متهدج : هل نسيت رئيس العمال ؟

— لا . . انه شيطان كما قلت . .

— ولكنى لا أقبل اشراكك . . . فقاطعته بحدة : أتفضل الموت شنقا على قبول المساعدة من فتاة ؟ ! يالك من رجل شديد الكبرياء !

ورمقته بنظرة ساخرة . . فقال بخشوع : انى لا أرضى أن أعرضك للخطر !

فابتسمت . . وقالت بهدوء : اصغ الى . سأستقل مركبتى بعد ساعة الى بورت رويال . ومن هناك سأبحر على ظهر سفينة خاصة الى تابوجا ، ومن حسن الحظ انى سأذهب الى بورت رويال بمفردى ، وهناك سأجد فى انتظارى شخصا سيأخذنى إلى السفينة

وكفت عن الكلام هنيهة . وقالت وهى تنعم النظر إلى وجهه :

— لن أبدأ رحلتي من هنا إلا عند ما ينشر الظلام سدوله ، وعن يسار الطريق الذى سأسلكه توجد غابة يمكنك أن تلوذ بها حتى إذا مرت مركبتي من أمامك ، فتحت لك بابها ، وعندئذ ربما أردت . .

وكفت عن الكلام مرة أخرى ، وهزت كتفيها ، ثم أردفت ضاحكة :

— سوف يكون من المستغرب جدا أن تفضل حبل المشنقة على الركوب معى !

وانبعثت واقفة ، وهرولت نحو الدار قبل أن يتمكن جيمس من الاجابة

الفصل الثانى

بعد ساعة كان وينتر يزحف بين أعشاب الغابة الكثيفة ، فى انتظار مرور المركبة ، غير عابىء بلسع البعوض ، وطنينه المزعج

ومرت الدقائق كالساعات ، وهو يرهف أذنيه ، لعله يسمع كر عجلات المركبة التى ستحمله إلى بورت رويال حيث الحرية والحياة

وفجأة ، خيل اليه انه سمع صوتا خافتا ، ما لبث أن أخذ يرتفع بالتدريج فركض قلبه بين ضلوعه ، وادرك أن ساعة الخلاص قد آذنت

ووثب إلى عرض الطريق فى اللحظة التى حاذته فيها المركبة ، ورأى بابها يفتح فجأة فوثب إلى داخلها ، ثم مال إلى الخارج ، وأغلق الباب بهدوء

وسمع الفتاة وهى تقول هامسة : اجلس هنا يامستر جيمس ، والا عضك جاكو ! فسألها بصوت منخفض : ما اسمك ؟ اخبريني يا اجمل نساء الدنيا — وما أهمية ذلك ؟

— ان له أهمية عظمى ! انى أريد معرفته لا بحث عنك فى المستقبل و . .

فقالت ضاحكة : وتشكرنى ؟ لا ضرورة لذلك يا سير جيمس ، فانى مولعة بالمغامرات فهتف برفق : سيدتى ، هل ترين عينى ؟

— بالتأكيد ، انهما يبدوان كالمصابيح فى الظلمة

— مصابيح ؟ ! حسنا . . ان تألقهما . .

وكف الشاب عن الكلام ، فقد وقفت المركبة فجأة ، فكاد راكباها يسقطان من فوق مقعديهما

ومزق السكون صوت خشن يقول صاحبه : من بداخل المركبة يابيترو؟
فهتفت الفتاة في جزع : يا إلهي ! انهم مطاردوك . . انكمش عند قدمي
ياسير جيمس لئلا يروك فأطاع الشاب دون تردد . . وسمع
السائق يجيب السائل بقوله : السنيوريتا بنيتا دي ريفاديو .. إحدى سيدات
تابوجا وكبرى بنات سيدي

وهنا أطلت الفتاة من نافذة المركبة .. وسألت السائق بصوت حاد :

— ماذا حدث يابدرو ؟ لماذا أوقفت المركبة ؟

فاقترب منها رجل يمتطي صهوة جواد .. ورفع قبعته احتراما .. ثم قال :

— اننا نبحث عن رقيق أبيض هرب بعد أن كاد يقتل كبير عمال
المزرعة فصاحت الفتاة مغضبة : رقيق ؟ ! هل توقفون مركبتي من
أجل ذلك ؟ أيدور بخلدكم انني أخفي الهارب بين طيات ثيابي ؟

كاد جيمس ينفجر ضاحكا .. ولكنه لزم الصمت .. بينما أجاب الرجل :

— معاذ الله ياسنيوريتا . . إننا لم نوقف مركبتك إلا من قبيل الحذر
فقط .. فأرجو صفحك فسألته برفق : هل تعتقد أنكم ستظفرون
بالهارب ؟ — اني واثق من ذلك . . فعلى طول الطريق يوجد
رقباء . ولست أشك في اننا سنظفر به بعد قليل . .

فضحكت الفتاة . . وأجابت بسخرية : أتمنى لكم التوفيق !

وأمرت سائقها بالمسير . . وبعد قليل انفجرت ضاحكة . وهتفت :

— هل سمعت ياسير شارلس ؟ — سمعت اسم منقذتي
ياسنيوريتا بنيتا فاسترسلت في الضحك . . وصاحت :

— آه ! ولكنك سمعت بان الطريق غاص بالمترصدين ! إننا لم نخرج
من الغاب بعد . . وعندي أن تظل حيث أنت حتى نتجاوز منطقة الخطر . .

— اني طوع أمرك ياسنيوريتا . فابتسمت . . ولاذت بالصمت

وتوقفت المركبة مرتين اثناء سيرها . . وكان معترضوها المراقبين الذين
انبثوا في أرجاء الطريق في انتظار الرقيق الهارب . . واستطاعت الفتاة ان
تتخلص منهم بلباقة . دون ان يحدث مايكدر صفو الرحلة

وأخيرا قالت الفتاة بارتياح : لم يبق بيننا وبين المدينة غير مسيرة ثلاث

ياسير جيمس . . يجب ألا تذهب معى الى المرفأ لأن رجلا ينتظرنى هناك
سأفتح باب المركبة بعد دقيقة واحدة .. فينبغى ان تثب الى الخارج وتختفى
فى الظلام . . اعطنى يدك ياسنيور

فبسط اليها يده . وعندئذ أحس بكيس حريرى طويل يوضع فى يده .
وسمعها تقول : ستكون بحاجة اليه . لأن المال أعظم قوة فى العالم .

فقال معترضا : كلا . إن الحب أقوى من المال لأن الحب لايقاوم

فسألت ساخرة : أتظن ذلك ؟ — بل إننى واثق منه كل
الثقة . إنه سيأخذنى الى شاطىء الأمان . على أن أعود ذات يوم الى تابوجا
لأوفى الدين . فضحكت . وقالت معقبة : لك الله ياسيدى من رجل
أمين . . ! ثم مدت يدها . وفتحت الباب . واستطردت : هلم ياسيرجيمس

ومالت الى الخلف فى مقعدها لكى تفسح له الطريق . فهم بالاعتراض .
ولكنها قالت تستحثه : أسرع قبل فوات الفرصة . اذهب فى حراسة الله
ياصديقى ! فنظر اليها نظرة تفيض بالشكر . وخانه النطق .
فوثب الى الخارج . وظل يعدو الى الأمام ليتجنب السقوط . . ومن ثم
ابتعدت عنه المركبة . ورأى باب المركبة وهو يغلق . وعند أول
منعطف رأى يد الفتاة وهى تلوح له مودعة . ثم انحرفت المركبة الى اليمين
وما لبثت أن غابت عن عينيه .

وظل الشاب جامدا فى مكانه بضع لحظات وهو مستغرق فى التأمل . .
وبعد قليل سمع صوتاً أشبه (بالكورس) يتردد صداه فى أرجاء الطريق المهجور
فادرك ان بقاءه فى عرض الطريق . وهو بهذه الخرق البالية وعلى تلك الهيئة
الزرية خليق بان يسترعى أنظار أول عابر سبيل .

عول على الذهاب الى المرفأ حيث تكثر حوانيت الثياب والطعام . وهما
الشيئان الوحيدان اللذان هو فى أشد الحاجة اليهما

وبدأ سيره صوب الميناء . وكلما تقدم خطوات ازداد صوت (الكورس)
وضوحا وعلواً . حتى إذا اقترب من احدى الحانات العديدة على جانبى
الشارع . فتح بابها . فاستطاع أن يلمح بالداخل غرفة مستطيلة وضعت لصق
جدرانها براميل ومناضد ومقاعد خشبية جلس فوقها رجال يعاقرون بنت

الخان . ويملأون المكان بصخبهم وضجيجهم .

وشعر جيمس بالاغراء يستولى عليه . فقد مضى عليه عامان دون أن يذوق طعم الخمر . فخطا خطوتين نحو الباب . ولكنه عاد فتذكر هيئته المريبة . فعدل عن رأيه . ورأى أن يتريث حتى يبتاع بعض الثياب .

وفجأة . خرج من باب الحانة عملاق ضخم الجثة يرتدى معطفا حريريا أزرق اللون . وصديرية وسروالا صفراوى اللون . وقبعة حريرية وحذاء وجوربا من الحرير ، بها أزرار كانت تشع وتلمع كلما تعرضت للضوء .

قال جيمس لنفسه : لاشك أنه من أمراء القراصنة .

وأخذ يراقب الرجل عن كثب . فرآه يتقدم الى الخارج وهو يترنح قليلا فى سيره .. ثم أغلق الباب خلفه .. ووقف يرقب القمر باهتمام . ومالبث أن قال : ياللسماء ! قمران فى سماء واحدة .. انى لم أر هذه المعجزة قبل اليوم !

وبلغت هذه العبارة مسامع جيمس فابتسم .. وهز رأسه فى حزن .. فقد ساءه أن يشرب الرجل خمراً حتى يثمل .. بينما لايستطيع هو أن يظفر بكأس واحدة .. وبعد هنيهة . بدأ الرجل سيره مترنحا .. فاقتفى جيمس أثره وهو يلوذ بظل الأشجار ليحجبه عن العيون . ولكنه ما كاد يسير خمس ياردات حتى رأى شيئا جعله يركض بكل قوته مخترقا الطريق دون حذر أو روية

بينما كان العملاق الأنيق يمر من أمام أحد الابواب ، اذ برز من خلفه خمسة رجال دلت حركاتهم على التربص والغدر . . وساروا فى أثر العملاق بخفة الهررة .. ورأى جيمس على ضوء القمر خنجرين يلمعان فى يدى رجلين منهما .. فأدرك سوء نيتهما .. وصح عزمه على تحذير العملاق

وكان السفاكون قد دنوا منه .. فخشى جيمس أن يفتكوا به . فصاح بأعلى صوته : بحق السماء ، كن على حذر ياسيدى

فاستدار العملاق على عقبيه ، وقد طارت الخمر من رأسه . . وما كاد يرى مطارديه حتى صاح بحدة : ياللشيطان !

وفى لمح البصر .. امتشق حسامه .. وتراجع الى الوراء حتى التصق ظهره بجدار أحد المنازل ثم طعن أول مهاجميه طعنة فى الصميم جعلته يتدحرج فوق الأرض وهو يتلوى من الألم .. بينما طار حسامه فى الفضاء وسقط عند

قدمى جيمس .   وقهقه جيمس ضاحكا . . والتقط الحسام . . ثم ركض نحو السفاحين . . فصاح زميلهم الجريح يحذرهم . . ولكن جيمس لم يعبأ بالتحذير . . ووثب الى الجدار حتى دنا من العملاق الأنيق ثم قال : انى صديق فاثبت . .   فضحك العملاق . . وقال دون وجل : مرحى بالاصدقاء !

والتحم الفريقان فى معركة دامية . . فلم يكن يسمع فى هذا الهدوء الشامل غير صوت السيوف وهى تتقارع وتتصادم .

الفصل الثالث

لم يطل أمد المعركة . . فقد نسى جيمس انه طريد ، وانهمك فى القتال بشجاعة المحارب واقدامه . . واستطاع بعد دقيقتين من بدء القتال أن ينتزع حسام أحد المقاتلين ويطعنه طعنة جعلته يترنح ويسقط فوق الأرض وهو يرغى ويزبد .   وفى اللحظة التالية وثب جيمس على رجل كان يتسلل جانبا ، وهو يرجو أن يظفر بالعملاق على غرة أثناء اشتباكه مع رفيقيه . . وطعنه فى كتفه بكل قوته ، فصرخ الرجل من الألم ولاذ بالفرار

ولما رأى الرجلان الآخران ماحل بزملائهم ، اطلقوا سوقهم للريح . وولوا الادبار   وعندئذ صاح العملاق بالجريحين : والآن ، ايها الكلاب ، مامعنى هذا الهجوم الغادر ؟

ولوح بحسامه فى وجه احدهما . . فتراجع الى الوراء حتى التصق بالجدار . . واجاب بفرنسية ركيكة وبصوت خافت لم يستطع جيمس ان يفهمه . . لكنه سرعان ماسمع العملاق يصيح بغضب :

— اذن فسانت لو هو زعيمكم ؟ حسنا . . اذهبا اليه وقولا له انى لن أغفر له هذه الدسيسة القذرة . . هيا انصرفا . .

فنظر الجريحان إلى بعضهما . وكأنهما لايصدقان اذنيهما . . ثم اسرعا بالابتعاد خشية ان يعدل محدثهما عن رأيه .

وظل العملاق يرقبهما والحسام فى يده . . فلما اختفيا عن ناظريه . تحول الى جيمس وقال ضاحكا : كلاب تصطاد لسيدها . . لقد تشاجرت مع سيدهم عندما اردنا اقتسام الغنائم التى استولينا عليها من هجومنا على بورتو

دى لابرنسيب . . فى استطاعتك ان تحكم على هذا الوغد من النظر إلى اعوانه ! لكن لمن انا مدين . .

وكف عن الكلام فجأة . . ونظر الى جيمس بدهشة . . ومالبث ان صفر بشفتيه .. وقال : اذن فأنت هارب من احدى المزارع ؟

— نعم . . ولكنى لا اعتزم العودة اليها

— ياالهى : كلا . . ان من كان من طرازك مبارزا بارعا لايليق به العمل فى مزارع التبغ . . مااسمك ياصديقى ؟

— جيمس وينتر . . واما اصدقائى فيدعوننى جيم

— اذن فاعتبرنى صديقك ياجيم . . اننى ادعى مارك رينجولد . وفى خدمتك . . والآن تعال معى ياصديقى لأوفى لك جزء من الدين الذى تغل به عنقى .. سنذهب الى منزلى لتبدل ثيابك وتتناول زجاجة من الخمر . .

وسارا فى طريق طويل ، ثم انعطفا يمينا ، فيسارا . . واخيراً توقفا امام باب احد المنازل . ونظر العملاق الى الباب كالصقر . . ثم قال لجيم : هذا هو الوكر فيما اعتقد فقال وينتر معترضا : لاريب انك تعرف انه هو بعينه — عد الواح الخشب حتى اتأكد . . هل هى ستة ؟

— نعم — اذن اطرق الباب ست مرات . ثلاث منها بقوة لان مدبرة المنزل ضعيفة السمع ! آه لقد نسيت انك عارى القدمين . . حسنا انتظر . . وشد ما كانت دهشة جيم عندما رأى صديقه يتراجع الى الوراء خطوتين . ثم ينقض على الباب بمؤخر حذائه بمنتهى القوة حتى كاد يهشمه . .

وفى التو سمعا صوتا نسائيا من الداخل يقول : انتظر يا مولاى وإلا حطمت الباب وفتح الباب على عجل ، وظهرت من ورائه زنجية ربعة القامة . وكان رينجولد يتهيأ لطرق الباب مرة أخرى ، فلما فتح بغتة كاد يسقط . . فتلقته المرأة بين ذراعيها . فضحك وقال :

— اوه ! هذه انت يا مرثا !؟ هامى يا امرأة .. علينا بشمعدان . . وطعام وزجاجة من الخمر لبطل يكاد يموت جوعا

فأسرعت الزنجية لتلبية الأمر . . وعادت بعد قليل وهى تحمل شمعدانا

كبيرا . وسار جيم فى أثر مضيفه إلى غرفة انيقة الأثاث ولكنها غير منظمة . وأشار رينجولد إلى ضيفه بالجلوس . . وهو يقول :

— سأنطلق إلى غرفتى لآتيك بما أنت بحاجة اليه ياصديقى !

وما كاد ينطلق من الغرفة حتى اقبلت الزنجية ، وهى تحمل صحفة عليها لحم بارد ، وخبز وزجاجة روم . . ثم التفتت إلى الضيف لتدعوه إلى الطعام . ولكنها ما كادت ترى هيئته المريبة حتى نظرت اليه بعينين تتجسم فيهما الدهشة والعجب . ولكنها لم تقل شيئا . . وغادرت الغرفة على عجل

واقبل رينجولد بعد هنيهة . . واصطحب جيم إلى غرفة نومه حيث وضعت فوق الفراش مجموعة فاخرة من الثياب المختلفة الألوان .. ثياب تدل على اليسر والنعمة . وقال : اختر لنفسك ما يروقك يا صديق

فابتسم جيم . . وراح يختار ثوبا يليق به

واذ فرغ جيم من ارتداء الثياب التى اختارها . . هز رينجولد رأسه باعجاب . وهتف : انك سليم الذوق ياصديق . . هلم بنا إلى الحانة لتنضم إلى باقى الرفاق وبعد عشر دقائق وصلا إلى الحانة . . فدفع رينجولد بابها . . وأشار إلى صديقه بالدخول . ثم دخل فى أثره . .

وأجال جيم بصره بين الحاضرين فى دهشة وعجب .

كانوا خليطا غير منسجم . . فالبعض كان يرتدى ثيابا فاخرة تشبه ثياب رينجولد . . وأما الغالبية . فكانت ترتدى سراويل حمراء اللون ، وقمصانا من الكتان ملطخة بالبقع . وهم جميعا يتقلدون سيوفا قصيرة . . ويضعون فوق رؤوسهم مناديل ملونة . وكانوا كذلك خليطا من حيث اللون فمنهم الأبيض ، ومنهم الزنجى ، ومنهم الأسمر . . ولكنهم على اختلاف مشاربهم . . كانوا اخوانا متآزرين

ضحك رينجولد . . وقال لرفيقه : انهم وحوش كواسر حين يعتلون ظهر السفين .. ولكنهم أطفال عند ما يعبثون . إن أكثرهم مثلك ومثل هنرى مورجان نفسه ، فارون من مزارع التبغ . . لا . . لن نجلس معهم . بل سنعتزلهم فى هذه الغرفة لنحتسى زجاجة من الخمر على انفراد

ودخلا الى غرفة خالية . . ونادى رينجولد فتاة زنجية وأمرها باحضار

زجاجة من الروم   وما كاد الرجلان يبدآن الشراب حتى فتح باب الغرفة بعنف . واندفع الى الداخل رجل بدت على وجهه معالم الانفعال الشديد

وصاح الرجل وهو يرفع يده مطالبا الجميع بالصمت : صه . . اصغوا الى الموسيقى !   فحملق الجميع فى وجهه مشدوهين .. وإذ ذاك سمعوا قرع طبول . كتلك التى اعتادوا ان يسمعوه كلما دعوا الى العمل . . فارتسمت على وجوه القراصنة علامات التعجب . . .

وصاح أحد الرجال : ماهذا ياجوتشر بحق السماء ؟

— ياللأحمق . ! انها طبول الأميرال تدعو الرجال الى العمل !

— هنرى مورجان ؟ !   — ومن سواه .. لقد عاد فى التو

فارتفعت صيحات التهليل من القراصنة . . وراحوا يلوحون بسيوفهم فى الفضاء . . بينما أشار رينجولد الى الرجل الذى أتى بالنبأ ليتقدم منه . . ثم سأله : هل عاد هنرى مورجان ؟

— منذ ساعة يا كابتن رينجولد . . وأرسل طبوله تدعو الرجال . .

فتحول رينجولد الى صديقه جيم . . وقال له : احتس النبيذ ياصديقى ، فان حظك فى كفة الميزان . . وينبغى أن نرحل من فورنا

وبعد هنيهة كان الرجلان يشقان طريقهما وسط الطرقات المزدحمة . . حتى بلغا طريقا تقوم على جانبيه أشجار النخيل ، فسارا فيه بضع دقائق ، وأخيرا بلغا بوابة مفتوحة عبراها . . وظلا يتقدمان حتى انتهيا الى منزل أنيق كان الضوء يشع من نوافذه .

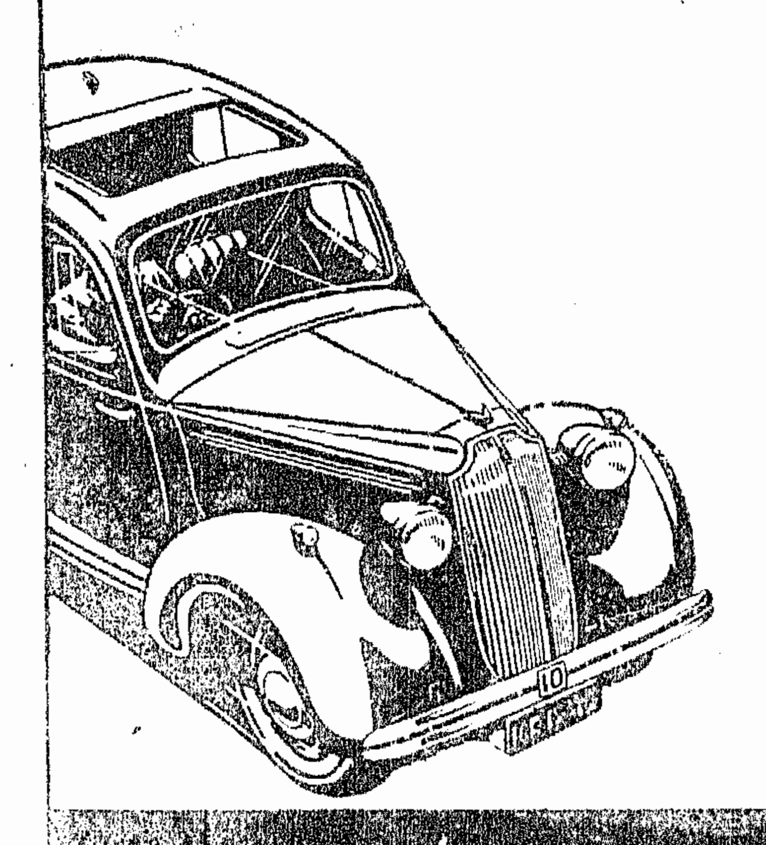
فقال رينجولد : ان مورجان فى المنزل .. سوف ترى هذا الرجل العظيم بعد هنيهة .. انه أعظم رجل بحرى ظهر فى التاريخ

وعندما وصلا الى البيت رأيا مركبة واقفة ببابه .. فطرق رينجولد الباب بعنف ، ففتحه زنجى يرتدى ثيابا فاخرة . . وما كاد الزنجى يرى وجه رينجولد حتى هتف : ان الأميرال مشغول يا كابتن رينجولد .. هو منهمك فى التحدث الى بعض الأشخاص حديثا سريا . وقد نهانى عن الاقتراب من الباب . ولكن لا أظن انه سيغيب طويلا . فقد استبقى محدثه المركبة التى أتى فيها . . فاذا سمحت بالانتظار يا كابتن . . . .

إنها أحسن تأدية لعملك

حيث يكون تقديرك على أتمه

تؤدي الفوكسهول (١٠) لك خير الخدمات حيث تقدرها اكبر تقدير اي فيما له علاقة بمالك . ولا يتبادر الى ذهنك انه ضحى بمؤهلاتها الهندسية على مذبح الوفر .... كلا اذ انك ستجد ركوبها مريحا بحيث تستغرب اتصاف سيارة رخيصة بهذا القدر من عوامل الراحة وهي على مؤهلات ومقدرة تبعثان في نفسك الشك في ارقام حساباتك لضآلتها .



ادولف مقار وشركاه
١٩ شارع سليمان باشا
بالقاهرة

الفوكسهول ١٠

فقاطعه رينجولد : بالطبع . . بالطبع .

فقادها الى بهو فسيح . . ووضع يده فوق ستار حريرى كان مسدلا فوق أحد الأبواب .. ولكن رينجولد نهاه قائلا : كلا .. سننتظر

— حسنا ياسيدى . . سأذهب لاحضار زجاجة روم

وما كاد الزنجى ينصرف حتى فتح الباب المواجه لجيم بغتة . وبرز من خلاله رجل ما كاد بصر جيم يقع عليه حتى جمد فى مكانه مصعوقا

الفصل الرابع

كان الرجل الذى أذهل مرآه جيم يرتدى ثيـــابا فاخرة . . وترتسم على وجهه علامات الخيلاء والكبرياء ، وتشع عيناه ببريق الغدر والخيانة .

وما كاد الرجل يخطو فى الردهة خطوتين حتى أدار بصره ونظر إلى الرجلين الجالسين فرأى مارك رينجولد أولا .. ثم انتقلت عينـاه واستقرتا على جيمس وينتر . وعندئذ فر لونه وبانت على وجهه سماء الذعر .. وأجفل كأنما رأى شبحا يبرز من الماضى السحيق .

وفى اللحظة التالية كان جيمس وينتر قد وثب واقفـــا ، وهو يهتف بصوت متهدج : يا إلهى .!

ولم يتمهل الغريب ليرى ماسيحدث بعد ذلك .. وإنما انصرف على عجل فاسرع جيمس فى أثره ، وسمعه وهو يصدر أمره إلى حوذيه الزنجى بالمسير فلما وصل إلى البـاب كانت المركبة قد ابتعدت ، ولـكن ذلك لم يفت فى عضده ، فتبعها ركضا حتى استطاع اللحاق بها .. وتشبث بالباب ، ثم وثب فوق السلم . وعندئذ أطل الراكب من النافذة ، وهوى بقبض مسدسه فوق يد جيمس . فاضطره إلى التخلى عن النافذة . . والوثب من المركبة ، وحينئذ أصدر أمره للحوذى بالاسراع . . ثم انفجر ضاحكا بسخرية . . ومال إلى الخلف فى مقعده ، ثم أغلق عينيه واستغرق فى التأمل .

ولم يكف وينتر عن الركض فى أثر العربة ، ولـكنها سبقته بمرحـــلة طويلة . ثم انعطفت يمينا ويساراً واختفت عن ناظريه

وفيما هو واقف يفكر . إذا به يسمع كر عجلات مركبة مقبلة . فلم يشك

فى أنها نفس المركبة التى كان يستقلها غريمه ، فصــاح بالحوذى أن يقف فاطاع الرجل .. وجذب عنان جواديه ، وأطل وينتر داخل المركبة ، فالفاها خالية كما كان يتوقع .. وحينئذ سأل الحوذى :

— أين الراكب الذى كان معك ؟ — لقد ذهبت به إلى الميناء ياسيدى

— اذن خذنى اليه . — انه استقل قاربا حين غادر المركبة . وكانت فى انتظاره سيدة . وانطلقا إلى إحدى السفن ..

فقاطعـــه وينتر بحدة : قلت لك اذهب بى إلى المرفأ ، أسرع بحق الشيطان ، ولك مكافأة مالية .

والقى اليه جيمس ببضع قطع من النقود ، فالهب الحوذى ظهرى جواديه بالسوط ، ولم تمض ثلاث دقائق حتى وصلت المركبة إلى المرفأ . . فوثب وينتر إلى الأرض ، بينما أشار الحوذى بسوطه ناحيـــة البحر حيث كان زورق يشق عباب اليم فى طريقه إلى سفينة راسية على مبعدة ، وقال:

— هذا هو القارب ياسيدى ، فى استطاعتك أن ترى السيدة من هنا

وفجأة شهق وينتر . وارتسمت على وجهه أمارات الاهتمام والقلق

تذكر أن بنيتا دى ريفـــاديو أخبرته بانها ستقابل شخصاً فى الميناء وسيذهبان معاً إلى سفينة ستكون فى انتظارهما .. وعندئذ ساورته الريبة فى الأمر .. وسأل الحوذى بلهفة :

— وما شكل السيدة .؟ هل كان اسمها بنيتا ؟

— نعم ياسيدى . . هذا هو اسمها ، فقد سمعت الرجل يدعوها به

فقذف له وينتر بقطعة أخرى من النقود . ثم هرول صوب الميناء حيث قفز الى زورق كان مشدوداً الى الشاطىء .. وفك القيد .. ثم أعمل المجذافين فى المـــاء .. فانطلق به الزورق كالسهم

راح وينتر يجذف بكل قوته ، وقد نسى العناء الذى قاساه أثناء النهار .. واكسبه الحقد المتأصل والرغبة الشديدة فى الثأر من الرجل الذى كان أس بلائه قوة لم يكن يعهدها فى نفسه من قبل .

وعلى ضوء القمر الساجى استطاع وينتر ان يرى زورق غريمه ، ويسمع

صدى صوته وهو يتحدث الى الفتاة . وكان الرجل متكئا على المجذافين ، وهو مقبل على صاحبته يحدثها .. وأدرك وينتر من هيئته ان الحديث بينهما لم يكن وديا أو هادئا وما هى الا هنيهة حتى استطاع أن يحاذى قارب غريمه ، ولم يكن يفصلهما غير الفراغ الذى تشغله المجاذيف . . واستطاع ان يرى الفتاة بوضوح ، فعرف فيها صديقته ومنقذته بنيتا .

وفجأة صاحت الفتاة فى توسل : أضرع اليك أن تعود أدراجك الى الشاطئ ياسنيور فقهقه وينتر ضاحكا .. وكان لضحكته رنين أجراس الجناز .. ثم أجاب : لن أعود حتى أصفى حسابى مع الشيطان الذى يجالسك ياسنيوريتا بنيتا وكف الشاب عن الكلام فجأة .. فقد رأى فى يد عدوه الألد مسدساً يلمع .. وفى اللحظة التالية سمعه يقول : أتريد تصفية الحساب أيها الأخرق ؟! حسنا .. هاهو جوابى !

ورفع يده بالمسدس .. فأدرك وينتر انه هالك لا محالة . فقد كانت المسافة التى تفصلهما لاتزيد عن ست ياردات .. وكان تجنب الاصابة أمراً مستحيلا وضحك الشيطان ضحكة مخيفة .. وعندئذ هتفت بنيتا فى ضراعة : كلا ياسنيور .. كلا ! — انك لا تعلمين شيئا يابنيتا .. ان هذا الوغد رقيق هارب . وسدد المرمى فحدد وينتر البصر الى عينى عدوه . وقرأ فيهما الجريمة بوضوح وقال الرجل : ستموت الآن أيها الأحمق !

وتحركت بنيتا فجأة .. ودوى طلق نارى .. وسقطت الرصاصة فى الماء .. فقد ضغطت الفتاة على يد رفيقها فاخطأت الهدف

وغلى الدم فى عروق وينتر .. فصاح وهو يوجه زورقه صوب القارب الآخر باحدى يديه ويستل حسامه باليد الأخرى : أيها الوغد !!

ولكنه أخطأ فى تقدير دهاء عدوه .. ذلك أنه أصدر أمرا الى الملاح الذى يقود الزورق .. فبسط هذا مجذافه ودفع قارب وينتر بعنف حتى أبعده وجعل المبارزة أمراً مستحيلا .. ثم ضحك ضحكة شيطانية شريرة . . والتقط غدارة أخرى من منطقته

فصاحت بنيتا فى ضراعة : كلا ياسنيور ! أتوسل اليك ألا تطلق النار ! ثم أردفت باصرار : بل لن تطلق النار ! لن أسمح لك بقتله

ورآها جيمس وهى تمد يدها الدقيقة وتنتزع المسدس من يد عدوه .

وسمع الرجل وهو يقهقه ضاحكا . ويقول : حسنا ياسنيوريتا . لن أقتله رميا بالرصاص ، فثمة وسيلة أخرى لبلوغ هذه الغاية

والتفت الى الملاح المرافق لهما . وأصدر اليه أمراً . . وفى التو طار فى الفضاء هلب ضخم وسمع وينتر الأمر . وأراد أن يتلافى الكارثة بالجلوس . ولكنه تأخر قليلا . فقد أصاب الهلب جانب قاربه . . فاختل توازنه وسقط فى الماء . وعندما أطبق عليه اليم سمع ضحكة عدوه الساخرة ، وصرخة الفتاة الدالة على الجزع . . ثم غمره الماء فلم يعد يسمع شيئا واكتنفته الظلمة فلم يعد يرى ماحوله .

الفصل الخامس

دفع وينتر الماء بقدميه بعنف فطفا على سطحه . . ثم انقلب فوق ظهره ، وترك نفسه للتيار يدفعه فى طريقه ريثما يلتقط أنفاسه اللاهثة .

وكان قاربه المقلوب أول ماوقع عليه بصره . وأما القارب الثانى فكان قد أصبح قاب قوسين من السفينة .

ولم يخطر بباله استئناف المطاردة . . فقد كان يعلم أنه من سخف الرأى أن يحاول الظفر بعدوه وهو بين أعوانه ورجاله . ومن ثم أخذ يسبح نحو الشاطىء . وهو يتساءل عن سر وجود عدوه فى هذه البقاع بعد أن كان يعتقد أنه مقيم فى انجلترا ينعم بخيرات الضيعة التى اغتصبها منه .

وزاد حيرة حين تذكر أن بنيتا أنبأته بانها ذاهبة الى شاجرز وتابوجا . وأخذ يفكر فيما عساه دفع ابن عمه الى الذهاب اليهما . ذلك لأنهما لم يكونا بالمكان الملائم لرجل غريب عن هذه الديار خصوصا إذا كان انجليزى الجنسية

ولما أعياه التفكير عزم على أن يقابل السير هنرى مورجان زعيم القراصنة لعله يستطيع أن يظفر منه بالجواب الشافى الذى ينير أمامه السبيل .

وانه لكذلك مستغرق فى التأمل إذا به يسمع صيحة حادة . فرفع رأسه ليرى صاحب الصيحة . فأبصر قاربا مقبلا نحوه . فتمهل حتى حاذاه الزورق وحينئذ رأى الحوذى الزنجى الذى أقله بعربته الى الميناء .

قال الرجل : لقد رأيت ماحدث ياصاحب السعادة . فهرولت . لانقذك من مخالب الحيتان . . هلم ياسيدى . اصعد الى الزورق

فابتسم وينتر . وتشبث بحافة القارب . . ثم رفع نفسه مستعينا بقوة عضلاته ، واستطاع بعد قليل من المجهود أن يتسلق اليه

وما كاد يأخذ مجلسه حتى أدار رأسه ونظر خلفه . . فرأى السفينة التى أقلت بنيتا وابن عمه الغادر قد انتفخت أشرعتها . . وبدأت تشق عباب اليم فى سرعة كبيرة   أحس وينتر بغصة حادة فى حلقه لافلات عدوه من قبضته . . فتحول الى الزنجى وهتف :

— عد بى رأسا الى منزل السير هنرى مورجان !   — حسنا ياسيدى

وكانا قد بلغا الشاطىء . . فوثب وينتر الى داخل المركبة . . بنما أخذ الحوذى مكانه وألهب الجياد بالسوط . .

وتصادف أن كان باب قصر الاميرال مفتوحا . . فمضى وينتر الى الردهة التى ترك فيها صديقه رينجولد فألفاه يتحدث الى رجل قصير القامة . . تبدو على وجهه امارات الهيبة والوقار . . ضيق العينين . . دقيق الفم . يزين شفته العليا شارب يضرب لونه الى الحمرة . .

ولم يخف على جيمس وينتر أنه فى حضرة أميرال البحر السير هنرى مورجان سأله صاحب الدار : من أنت ياصديقى ؟

فأسرع رينجولد يجيب قائلا : هـــذا هو البطل المغوار الذى كنت أحدثك عنــــه ياهنرى . . ياالهى ! إنه يقطر ماء ! ! هلم تقدم ياجيم ودعنى أقدمك لهنرى .   فتقدم جيم نحوهما . . ولاحظ أن عينى السير هنرى لم تفارقا وجهه . . وانه يتأمله بانعام

قال رينجولد : أقدم لك جيم وينتر . . فارس انجليزى فى بعض الأحيان وأخيراً رقيق فى مزرعة من مزارع التبغ . . وأما الآن فمغامر يضع حسامه فى خدمتك   فهتف مورجان وهو يحدد النظر الى غمد وينتر الفارغ :

— سيفه ؟ أين هو السيف ؟

وبدت فى عينى رينجولد نظرة دهشة عندما لاحظ ضياع سيف صديقه . وصاح : آه ! ياللسماء . . أين الحسام ياجيم ؟

— فى جوف البحر حيث كان ينبغى أن أكون

ثم وجه الحديث الى الأميرال القرصان : سيدى .. ان هذا الوغد الذى انصرف من قصرك . . .

فقاطعه السير مورجان متسائلا : ماذا تعرف عنه ؟

فأجاب جيمس بهدوء : أعرف أنه ابن عمى الوغد الذى قذف بى الى المزارع حتى يتسنى له الاستيلاء على ضيعتى .. انه نذل جبان ..

فقاطعه مورجان مرة أخرى : ولكن الرجل إسبانى الجنسية ؟

— كلا . . انه انجليزى . . ومسقط رأسه مقاطعة دورست . . وهو ابن عمى فبدا الاهتمام على وجه مورجان .. ثم التمعت عيناه فجأة ببريق الغضب .. وقال :

— تعال معى ياوينتر . . وانت يارينجولد

وقادهما الى غرفته الخاصة . . واشار اليهما بالجلوس . . واما هو فبقى واقفا وساقاه منفرجتان قليلا .. ثم قال بصوت أجش : حدثنى بكل ماتعلمه عن الدون انطونيو بيرالتا . فضحك وينتر . . وقال متهكما :

— الدون انطونيو بيرالتا ؟ ! أهكذا يدعو روجر وينتر نفسه ياللعجب .. لماذا ؟ انه . . — هل انت واثق من انه ابن عمك ؟

— وهل يستطيع المرء ان ينسى شكل الرجل الذى قذف به إلى جهنم

— نعم . . يجوز . . كم مضى منذ رأيت ابن عمك لآخر مرة ؟

— عامان وخمسة شهور . . يوم ان اقسم للقضاة انى مشترك فى مؤامرة ضد صاحب الجلالة الملك فغمغم مورجان : هذا يكفى لأن يتذكر المرء عدوه . . وكأنما عز عليه ان يتزعزع اعتقاده فى حقيقة الدون بيرالتا . . فقال لجيمس :

— ولكنه يتكلم الاسبانية كأحد ابنائها . وملامحه لاتختلف عنهم وفضلا عن ذلك فانى اعرف أنه يشغل منصبا كبيرا فى خدمة الحكومة الاسبانية ببناما . . فمارأيك فى ذلك ؟

— لاشىء . . إنه ابن عمى برغم كل ذلك . . لقد عرفنى عندما رآنى فى هذه الردهة . . ولماحاولت اللحاق به لطمنى فوق يدى بقبضة مسدسه

وعندما ركبت زورقا فى اثره اراد ان يطلق على الرصاص . فلما فشل عمد الى اغراقى فى اليم . . فهل من المعقول ان يقدم اجنبي — حتى ولوكان اسبانيا تى هذه الوسائل الجهنمية ليتخلص من رجل لاشأن له به ؟

— اصبت ! لقد بدأت اصدقك . . اصغ الى . . ان الرجل خائن . . وهو يحاول بيع بناما طمعا فى الربح الشخصى

فصاح رينجولد باهتياج مقرون بالدهشة :

— بناما ؟ ! المدينة الذهبية ! ياالهى ياهنرى . هل هذه هى رحلتنا الجديدة ؟ فقال سورجان بحدة :

— مازالت الاتفاقية سرا من الاسرار . فاحتفظ بالنبأ لنفسك فى الوقت الحاضر يامارك ثم تحول الى وينتر . . وقال : ان الرجل الذين يخون ذويه . . ويتنكر لوطنه . . ويبيع وطنه الجديد لايتورع عن خيانتى ايضا . فتلك هى نقطة الضعف عند الخونة . . ومن واجب من يبتاعون ضمائرهم الايثقوا بهم

واردف بلهجة صارمة : لكن بحق الشيطان وملائكته السود . . اذا حاول هذا اللعين ان يمكر بى فسأمزق جلده بسوطى

واخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا . وقد ارتسمت على وجهه امارات التفكير العميق . . وما لبث أن توقف فى سيره . . وغمغم :

— كلا . انه لن يخوننى لأننى سأمنحه الثمن الذى تتوق اليه نفسه

ونظر إلى وينتر . ثم قال : انك تتحرق شوقا للثأر ؟ لو أنى كنت فى موقفك لألهب الحقد صدرى . . قد أستطيع أن أساعدك على نيل مأربك فانى أستخدم الخونة لبلوغ غاياتى . ولكنى امقتهم من كل قلبى ، ولا أمد يدى لانقاذهم إذا تورطوا فيما يوردهم موارد التهلكة . . ان هذا الدون انطونيو بيرالتا ذاهب إلى بناما وتابوجا :

فصاح وينتر مأخوذا : تابوجا ؟

فتألقت عينا سورجان ببريق الاهتمام . . وسأل :

— هل تعرف هذه المدينة ؟ وهل ذهبت اليها فيما مضى ؟

— كلا ، إن الاسم كان جديداً على إلى بضع ساعات خلت ، انى

مدين بحريتي إلى فتاة تستوطن هذه المدينة ، ولو أن أمها كانت من جمايكا

فضحك رينجولد وقال : أهي صاحبة الكيس ياجيم ؟

— نعم ، انها بنيتا دي ريفاديو

فصاح مورجان بانفعال : بالشيطان ! إن للقدر أصبعا في هذه الدسائس لحبوكة . . أؤكد لك ياصديقي أنى على استعداد لأن أجمع بينك وبين عدوك نصفي حسابك معه إذا قبلت أن تنضوى تحت لوائي

فقال وينتر بهدوء عجيب : سأذهب إلى تابوجا . . لأنى مرتبط بموعد سابق . فصاح رينجولد ضاحكا :

— لعلك ذاهب لمقابلة الفتاة . . يا إلهى . ! هوذا رجل صادق ياهنرى .

فسأل مورجان باهتمام : حدثنى عن الفتاة ، هل هى جميلة ؟

فقال وينتر بحرارة : لم توجد بعد ابنة لحواء أجمل منها

— وثرية ؟ — هذا مالا علم لى به .

فقهقه القرصان . . وهتف : أراهنك على أنها كذلك ، إن بيرالتا ثعلب ماكر ، ودتا مر خطر . . ولكنه ليس بالمحب الذى يبيع مدينة فى مقابل حب امرأة . — لست أفهم ماتعني ياسيدى !

— كلا . . ولكنك ستحيط بها علما فى تابوجا ، حيث ستتاح لك الفرصة لكي تغمد حسامك فى قلب عدوك إذا حالفك الحظ ! ولكن دورك هذا الذى قد يبدو لك عظيما ان هو الا جزء بسيط من رواية كبيرة ، اصغ إلى ياماركـ ستبحر إلى تابوجا فى أقرب فرصة ، حيث سيلتئم شملنا جميعا هناك . ينبغي أن أتحدث اليك على حدة ، وأما صديقك فبحاجة إلى ثياب جافة لئلا يصاب بالحمى أدرك وينتر أن مورجان يشير اليه بالانصراف فنهض واقفا ، واستأذن ، فقال له رينجولد :

— انك تعرف أين الدولاب ياجيم . . والحيلة التى يفتح بها باب الدار أطرقه بقوة ثلاث مرات . . وسأوافيك اليه بعد الانتهاء من حديثي مع هنرى

فابتسم مورجان . . وقال : فى استطاعتك ان تذهب ياوينتر . . جئنى بحسامك أعطك ذلك اللعين ابن عمك غنيمة باردة !

الفصل السادس

ما كاد جيمس وينتر يخرج الى الشارع حتى أحس برعدة قوية تسرى في جسده .. فأسرع خطاه الى إحدى الحانات حيث احتسى كأسين من الروم بعثتا الحرارة في جسمه .. ثم انطلق الى منزل صديقه فاستبدل ثيابه المبللة بأخرى جافة واستعاض عن حسامه المفقود بآخر عثر عليه في غرفة صديقه .. ثم جلس ينظر عودة رينجولد .. ولكنه شعر بثقل في جفونه فاستسلم لنوم قصير أفاق منه على طرقات رينجولد العنيفة فوق البـاب

وبعد هنيهة دخل رينجولد الى الغرفة .. وهتف ضاحكا : تهلل ياصاحبي .. فسنركب البحر الليلة   فقال وينتر بدهشة : الليلة ؟

— نعم .. تلك هي أوامر هنرى مورجان .. سنذهب أولا الى تابوجا ليأمر بحشد الأسطول ..

***

وبعد ساعة ونصف ، غادر الصديقان المنزل .. وكان يسير في أثرهما عدد كبير من القراصنة ينوءون بأمتعة رينجولد وأمتعتهم الخاصة

وعندما وصلوا الى الميناء .. استقبلهم البحارة بالهتاف والتهليل .. وعلا الضجيج والصخب .. فقد كان نبأ الرحلة الجديدة قد سرى اليهم ، فدبت فيهم روح النشاط . وتوثبوا للعمل بعد ان قضوا فترة طويلة في اللهو والشراب   قال رينجولد لصديقه وهما يتقدمان من الشاطيء :

— ان هنرى مورجان ساحر مافى ذلك من شك . انظر الى هؤلاء الرجال ، انهم لايترددون في مرافقته الى جهنم اذا أمرهم بذلك .. حتى أنا .. لا أتردد في ان أقذف بنفسي اليها اذا طلب الى ان أفعل

فضحك وينتر وقال : أرجو ألا يطالبنا بشيء من ذلك

— اذا كان الذهاب الى جهنم جزء من خطته فسيطالبنا حتما بالسير معه اليها ! لكن ثق ان خطته سديدة دائما .. فتلك ميزة أميرالنا العظيم .. انه لايثب في الظلام .. وأراهن على ان جميع أسرار بناما في حوزته في الوقت الحاضر   — هـذا محتمل جداً . اذا كان بيرالتا

وفق فى الحصول عليها وباعها الى مورجان

— آه عدوك اللدود ؟ ! من الغريب انه مشترك فى هذه الدسيسة . . لقد سمعت من مورجان ان الدون بيرالتا من كبار موظفى الحكومة الاسبانية

فقال وينتر بتأمل : يحتمل كثيرا انه يخون الجانبين فى وقت واحد

— لقد خطر لى ذلك . . وكان لحديثك أثر فعال فى نفس الاميرال . . فقد فتح عينيه إلى الحقيقة الخطيرة . . وجعله يلازم جانب الحذر . . ان حاكم بناما الاسبانى ثعلب ماكر . . ومن الجائز جداً انه يستدرجنا إلى فخ منصوب بواسطة خيانة بيرالتا الموهومة . . لا أحد غير الشيطان نفسه يعرف الحقيقة ! ! لكن ثق ان مورجان احرص من ان يسير معصوب العينين . وان حاول بيرالتا خديعته فلن ينجو من التعذيب القاتل الذى اعتاد مورجان ان ينزله بالخونة .

وكانا قد وصلا إلى الشاطىء فى تلك اللحظة . . فاستقلا زورقا كان فى انتظارهما . . وانطلقا إلى السفينة الراسية خارج الميناء . . وما كاد رينجولد يطأ ظهرها حتى انقلب رجلا غير الرجل . . فاصبح قرصانا بالمعنى الحقيقى . . وراح يصدر الأوامر تباعا لرجاله . . فيهرعون لا نفاذها بكل همة ونشاط وان هى الا دقائق حتى بدأت السفينة (سانتا كاتالينا) — وهى غنيمة من الغنائم التى استولى عليها مورجان من الاسبانيين فى رحلته السابقة — تغادر الميناء فى خيلاء . وأخذ جيمس وينتر يراقب أنوار الميناء وهى تبتعد رويدا رويدا . . وما لبث ان تنفس الصعداء . . فقد كانت تلك اللحظة حدا فاصلا بين حياة العبودية وعهد الحرية . .

وأحس بيد توضع على كتفه . . فاستدار على عقبيه . . ورأى صديقه رينجولد ينظر اليه باسما ويقول : حسنا ياصديقى !! لعلك كنت تحلم بالنساء الاسبانيات الجميلات وذهب بناما ؟ !

فأجاب جيمس بصراحة : كنت افكر فى المرأة . . وندل !

فضحك رينجولد . . وقال : الاسطورة القديمة ذاتها ! فهناك دائما امرأة . . وندل . . لقد بدأت القصة فى عدن . . وكانت الحية تلعب دور النذل . ولا ريب ان القصة سيستمر تمثيلها فى جهنم والفردوس . . ويخيل

الى ان ابن عمك قد هيأه القدر ليلعب دور . .

فقاطعه جيمس بحرارة : ان طابع الشيطان مرسوما على وجهه

— بحق السماء . . انه يبدو كذلك . . ولكن من سخرية القدر ان تجمع بينكما فتاة — لا سخرية فى ذلك . . لأن هذه هى ارادة السماء . . سنلتقى حتما فى بناما او تابوجا . — ولماذا فى تابوجا ؟

ـ لأن الفتاة ذاهبة الى هناك ـ آه ! حيث توجد الجيفة. تهبط النسور.

***

وفى تابوجا تجمع أسطول السير هنرى مورجان العظيم . . اسطول طالما التى الرعب فى قلوب الاسبان . . ونكل بسفنهم واسر منها عددا عظيما .

وكان اسطول القرصان مكونا من عدد كبير من السفن الصغيرة والكبيرة بعضها مسلح بالمدافع . والبعض الآخر معد لنقل الجنود وعتادهم .

وكان وينتر يراقب حشد الجيش المكون من أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل فى دهشة وعجب . وفى صباح أحد الأيام وصلت سفينة مورجان . فاطلقت المدافع تحية لها . ثم دعى قواد الجيش لعقد اجتماع برآسة الاميرال فذهب رينجولد لحضور الاجتماع . وعندما عاد كانت عيناه تتألقان ببريق السرور . وأخرج القرصان وثيقة من منطقته وقدمها الى وينتر وهو يقول : انظر ياصديقى . هذه وثيقة الشرف . لقد تحولت بمقتضاها من قرصان الى خادم للمملكة . حقاً . ان قوة المداد والورق لا يستهان بهما خصوصا إذا أضيف اليهما خاتم هنرى مورجان .

فقال وينتر مداعباً : لاريب أن الأميرال عهد اليك بمهمة خاصة ؟

— أصبت . لقد خولنى الأميرال السلطة لمهاجمة الاسبانيين ودحرهم . وتقرر أن نبحر نحن أولا . لنحاول الاستيلاء على قلعة سان لورنزو. ونطهر الطريق من الأسبانيين . وعندئذ تتقدم كتلة الجيش فى نهر شاجرز . وأما حملتنا فستكون مؤلفة من أربعمائة مقاتل . وهو عدد ضئيل لا يتناسب ومناعة القلعة التى أمرنا بالاستيلاء عليها !

كانت قلعة سان لورنزو قائمة كالطود عند مدخل نهر شاجرز . وتسد الطريق فى وجه حملة مورجان على بناما . ولذا رأى مورجان أن يستولى

عليها أولا . ثم يتقدم أسطوله الى بناما دون مقاومة . أو هجوم من الخلف.

* * *

وفى مساء اليوم التالى وصلت السفينة التى تقل حملة الاستكشاف الى منبع نهر شاجرز فقابلها المدافعون عن القلعة بنار حامية من مدافعها . . فاضطر قائد الحملة أن يصدر أمره بالابتعاد عنها . والقت السفينة مرساها على مسافة فرسخ منها . فاذا كان الصباح نزل القراصنة الى البر . وعهد رينجولد الى جيمس وينتر برآسة الحامية تحت ارشاد ثلاثة من المساجين الاسبانيين ليستكشف الطريق . وقال : إذا حاولوا الهرب أو الخيانة فاطلق الرصاص عليهم من فورك . وعلى أثر ذلك بدأ الكشافون رحلتهم . فسار الأسبانيون الثلاثة فى المقدمة . وفى أثرهم جيمس وينتر وفى كلتا يديه مسدس ضخم . وتبعتهم الحملة على قيد مائة ياردة .

وقد اعترضهم فى بادىء الأمر مستنقع كبير . فخاضوه غير عابئين بالاشجار الشائكة التى كانت تؤذى جسومهم . ولا بالطمى الذى يعرقل تقدمهم . أو البعوض الذى يتكاثف كلما أمعنوا فى سيرهم . ويهاجمهم بعنف وظلوا يتقدمون حتى بلغوا غابة كثيفة الأشجار . فتوقف اثنان من الأسرى الاسبانيين . . واشارا بايديهما الى الغابة . . فهددهما وينتر بمسدسيه . . وصاح : الى الأمام !

فسار الاسيران وهما يتذمران . وعندما عبروا الغابة، رأى وينتر أمامه تلا عاريا يواجه القلعة الحصينة .. وكانت طلائع الحملة قد لحقت بالمستكشفين فراح أفرادها يحملقون فى الحصن مأخوذين .. وفى اللحظة التالية أمطرتهم مدافع القلعة بوابل من قنابلها .. فسقط عشرة من رجال الحملة .. وارتد الباقون الى الغابة يعتصمون بها . وصاح بعض الرجال يطلبون العودة الى السفن .. فزجرهم رينجولد .. وهتف :

— يالكم من أنذال ! أعدوا مسدساتكم .. وامتشقوا سيوفكم ! لقد حان وقت العمل أيها الأبطال !

ثم تقدم الحملة .. وهو ينتضى حسامه فى يد . . ويشهر مسدساً محشواً فى اليد الأخرى .. فترك جيم الاسرى الثلاثة وركض فى أثره .. وعندئذ دبت

الحماسة فى صدور القراصنة .. فهللوا وصخبوا .. ثم شرعوا فى الهجوم على القلعة . كان عليهم أن يجتازوا قناة تفصل بين الحصن والتل .. فلما أخذوا يعبرونها .. قابلهم المدافعون عن الحصن بسيل من الرصاص .. فسقط بعض المهاجمين ولكن القراصنة لم يتراجعوا وانما صاحوا صيحات الغضب والحنق واندفعوا كالمردة نحو القلعة .. حتى بلغوا سورها الخارجى .. فحاولوا تسلقه ، ولكنه كان مرتفعاً .. بينما أخذ الاسبانيون يطلقون مسدساتهم من وراء السور فيصيدون القراصنة كالجرذان .

همس رينجولد فى أذن جيمس : الامن رجل يرضى بأن اعتلى ظهره لابلغ حافة السور ؟! وفى التو .. انحنى جيمس لصديقه .. فاعتلى هذا ظهره .. ووضع احدى ساقيه فوق السور وتهيأ للهبوط فى داخل القلعة

ونادى وينتر أحد الرجال وطلب اليه أن يعاونه فى الانضمام الى رينجولد ولكن حدث ان أصيب رينجولد برصاصة فى تلك اللحظة .. ففقد توازنه وسقط خارج الحصن .. وظل يتدحرج حتى استقر فى جوف الخندق المحفور حول القلعة وارتاع جيمس .. وظن أن صديقه قد مات .. فصرخ صرخة مدوية .. ثم هبط فى أثره الى أسفل الخندق .. وهناك الفى رينجولد جالساً .. وقال الجريح : لاتخف ياصديقى .. فانى..

وانحبست الكلمات فى حلقه .. وأغمى عليه .. فمال وينتر فوقه ليفحص الجرح الذى أصابه .. ولكنه أحس بشىء ثقيل يرتطم بساقيه .. وسمع صوت رجل يلعن ويشتم وهو يركض كالمجنون . فنهض واقفاً .. وتطلع فى اتجاه القلعة .. فرأى القراصنة يلوذون بالفرار .. بعد ان أصيب منهم كثيرون . وما هى إلا لحظات حتى خلت ساحة القتال من المهاجمين .. ولم يبق فيها غير جثث الموتى من القراصنة .

وأدرك جيمس انه ان لم يبادر بنقل صديقه الجريح الى الغابة . فسيراهما الاسبانيون ويطلقون عليهما النار .. فمال فوق رينجولد . وحمله فوق كتفيه .. وشرع يرتقى الخندق .

وعندئذ رآه الاسبانيون . فاتخذوا منه هدفا لمسدساتهم .. وحاول أحدهم ان يصيبه بقنبلة . ولكن القذيفة سقطت على مقربة منه .. وفتتت

صخرة ضخمة . . تطايرت شظاياها فى الفضاء ولـكنها لم تصب جيمس بأذى ، كما ساعده الدخان الذى تسبب عن القذيفة على الخروج من الخندق والوصول الى حافة الغابة ، ولـكن تصادف لسوء الحظ ان تعثر فى حفرة احدثتها احدى القنابل فسقط بين الاشجار بحمله .

الفصل السابع

نهض وينتر على عجل . . ونظر إلى صديقه الذى كان ممددا فوق الارض كالموتى ، ثم هز رأسه فى اسى وقنوط .

وحانت منه التفاتة الى قرصان كان على مقربة منهما ، ورآه يخرج من منطقته زجاجة خمر ، فأسرع اليه . واستعار منه الزجاجة عنوة . ثم سكب بعضها بين شفتى صديقه ، ورفع رأسه ، وبعد هنيهة فتح رينجولد عينيه ونظر حوله فى ذهول . . ثم هتف : ياللشيطان ! ماهذا !

فضحك وينتر دلالة على الارتياح ، واجاب : حسبتك جثة هامدة يامارك ! — لـكن ماالذى حدث ، وكيف جئت الى هنا

— لقد حملتك فوق ظهرى بعد ان سقطت فوق السور

— يالهى ! لقد تذكرت . . اصابنى شئ فى مؤخرة رأسى . . اظن انها كانت رصاصة وتحسس موضع الاصابة . فتلطخت يده بالدم فضحك وقال ممازحا : انظر الى موضع الاصابة ياجيم . . واخبرنى هل احدثت حفرة يطل منها عقلى ! !

وفحص جيمس موضع الاصابة . . ثم تنفس الصعداء ، وقال :

— كلا . . انه جرح سطحى ، وخدش بسيط فى عظم الجمجمة برغم غزارة الدم الذى نزف منه — شكرا للسماء . خذا المنديل واعصب رأسى ثم حدثنى بعد ذلك بماحدث

— لقد هزمنا ياصديق . . ان الاسبانيين قوم شجعان

— نعم . . انهم لـكذلك ! ساعدنى على النهوض ياجيم . . يجب ان اتصل ببرودلى قائد الحملة واتحدث اليه فى الأمر

كانت مدافع الاسبانيين لاتزال تزأر عندما بدأ الصديقان سيرهما

وظلت بقية النهار تقذف حممها على الغابة دون ان تتلقى ردا من القراصنة اصدر برودلى أمره الى رجال الحملة ليأخذوا قسطهم من الراحة . . فلما جن الليل ونشر الظلام جناحيه على الكون . استيقظوا . . ووقفوا صفوفا متراصة فى انتظار امر القائد

وخطبهم رينجولد . واستطاع بفصاحته أن يتلاعب بافئدتهم ، ثم أبلغهم أمر القائد القاضى بالهجوم على الحصن من جديد .

وفى سكون الليل وهدأته ، بدأ القراصنة يزحفون فى هدوء صوب الحصن ، وكان لهم من الظلام خير ستار يخفيهم عن اعين الاسبانيين . . فاستطاعوا أن يعبروا الخندق بسلام ، ولكنهم ماكادوا يبلغون حافته . . حتى قابلهم المدافعون عن الحصن بنار حامية ، فاختلط الحابل بالنابل . . وارتفع الصياح ، والصراخ ، وعمت الفوضى .

واتفق أن أصيب أحد القراصنة بسهم قاتل بين ضلوعه .. فصرخ صرخة مدوية ، وانتزع السهم من صدره ، ثم وضع قطعة من القطن فى أحد طرفيه ، وأشعلها . . ثم ثبت طرف السهم الآخر فى غدارته وأطلقها فطار السهم فى الفضاء . وسقط فى مخزن من مخازن الغلال . . فاشتعلت فيه النار . وبعد لحظات امتدت ألسنة اللهيب فى كافة الانحاء فاستدعى بعض المدافعين عن الحصن لاخمادها ، وعندئذ اصطحب وينتر عدداً من الرجال وتسلقوا السور ثم انقضوا على بقية المدافعين عن الحصن وأسكتوهم إلى الأبد وعندما طلع الفجر كان سور الحصن قد أصبح أثرا بعد عين .. فزحف القراصنة إلى القلعة ليحتلوها فحاول قائدها ومعه بعض الجنود صدهم عنه ، وعندئذ طلب اليه رينجولد التسليم ، ووعده بالحياة . . فضحك القائد ساخراً ، وفى التو أصابته رصاصة أطلقها أحد القراصنة فاردته قتيلا .

وسقط فى يد الجنود الاسبانيين بعد أن فقدوا قائدهم . فسلموا أنفسهم .

وركع وينتر بجانب القائد . مدفوعا بعاملى الشفقة على الرجل والاعجاب ببسالته .. ورفع رأسه الاشيب .. وقال له برفق :

— هل من شىء أستطيع أن أفعله لعدو باسل ؟

فتقلص وجه القائد بدافع من الالم ، وأجاب بتلعثم :

— انى لا أطالبك بجميل ياسيدى ، فقط زوجتى .. زوجتى ..

فسأله وينتر بلهفة : هل هى فى القلعة ؟

— نعم . . انها مختبئة فى إحدى غرف الحصن.. اعطها .. المسدس .. المثبت فى منطقتى ، فقد احتفظت لها به ... محشواً

أدرك جيمس وينتر مرمى القائد . . كان يخشى أن ينقض القراصنة على زوجته فيذيقوها الوان العذاب والهوان . . ويتخذوا منها اداة عبث ولهو فأعد لها المسدس حتى لاتعانى المحنة القاسية إذا ما اكتشف القراصنة مكانها

ولكنه تردد .. فنظر اليه القائد المحتضر نظرة توسل وضراعة .وقال :

— هل ترفض أن تجيب رجاء رجل ميت ؟

فأجابه وينتر على الفور : كلا . . سأذهب بالمسدس الى زوجتك .. بل وأعدك بأن أحافظ عليها إذا رغبت فى الحياة .. واذهب بها الى بناما .. اقسم لك على ذلك بكل ماهو مقدس . .

وتناول المسدس من يد القائد .. فقال هذا بصوت خافت :

— انك .. رجل .. كريم .. ياسنيور .

ثم أسلم الروح ..

ونهض وينتر واقفا . . وأدار بصره حوله . . فرأى القراصنة يصيحون ويصخبون .. وقد أسكرتهم نشوة الظفر فراحوا ينهبون المدينة . ويطاردون فلول المدافعين عن الحصن نحو البحر

وفى تلك اللحظة برز رينجولد من داخل أحد الأبواب .. فما وقع بصره على وينتر حتى أقبل عليه ضاحكا .. وهتف : لقد انتصرنا ياجيم !! هل رأيت البـاب الذى خرجت منه الآن ؟ انه الباب المؤدى الى بناما . . لقد انتصرنا ياصديقى انتصارا حاسما .. ولن يقف أحد فى سبيلنا إلى مدينة الذهب !!

فأجابه وينتر بتأمل : نعم .. ولكن يوجد فى هـذه القلعة باب مغلق ينبغى أن أجده فى أقرب وقت

فرفع القرصان حاجبيه فى دهشة .. ثم نظر الى جثـة القائد . . وعندئذ تالقت عيناه ببريق الفهم والادراك .. وهتف : آه ! آه ! ياعزيزى جيم !

اتراك عرفت مكان الكنز ؟

— بل مازلت أجهل مكانه . . انه كنز على هيئة امرأة مختبئة خلف أحد الابواب المغلقة . . لقد أقسمت أن أعطيها هذا المسدس الذى استبقاه زوجها محشوا . . فصاح رينجولد : ياالشيطان ! هل يريدها التعس على الانتحار ؟ — إذا شاءت . . فإن لم تشأ ، فقد أقسمت أن أقودها الى شاطىء الأمان دون أن تصاب بسوء . .

— ياالشيطان ! هذا قسم لايستطيع انفاذه غير الملائكة !

وأدار رينجولد بصره فيما حوله . . وما لبث أن بدا عليه النشاط . ثم قال :

— هلم بنا . . لو كانت هى المرأة الوحيدة فى القلعة فسأنقذها من براثن هؤلاء الوحوش . . أين . .

فقاطعه وينتر : فى إحدى غرف القلعة

فركض رينجولد ووينتر فى أثره . . فقد كان القرصان يخشى أن يوفق رجاله فى العثور عليها . فلا يستطيع الى انقاذها سبيلا

وبلغا القلعة فى تلك الأثناء . فعبرا الساحة الخارجية . وانطلقا فى ممر تقوم على جانبيه أشجار النخيل . وتنتشر خلفه أكواخ الجنود . وكانت النار تتصاعد منها . والدخان يكاد يحجبها عن الأبصار .

وفجأة . سمع الصديقان صرخة ذعر ثاقبة . فصاح رينجولد :

— انها صرخة امرأة ! فليساعدها الله ان كانوا قد ظفروا بها ! ! هذا الطريق ياجيم ! كانت الصرخة صادرة من خلف الأكواخ . فشق الرجلان طريقهما الى بناء كبير من الحجر الضخم . وما كادا يبلغانه حتى برزت من الداخل فتاة على جانب عظيم من الجمال . ترتسم على وجهها علامات الذعر القاتل ، ويصل شعرها الاسود الفاحم الى خصرها .

وما أن وقع بصر الفتاة عليهما حتى أهابت بهما أن يخفا لنجدتها ، ذلك أن نجيا من القراصنة كان يركض فى أثرها من الداخل ، ثم هجم عليها . . حاول أن يحتضنها بوحشية . فراحت تلطمه بقبضتها . وهو يضحك ساخرا

وصاح رينجولد بغضب : ياالشيطان ! ! أيجوز لزنجى أن يقطف زهرة بيضاء ؟ ! ثم ركض نحو الزنجى ، ووينتر فى أثره

الفصل الثامن

صاح رينجولد بالزنجى : دعها يارجل !

فحدق الزنجى فى وجهه مغضبا . فقد كانت المرأة من حقه بحكم قانون القرصنة . وكان من الواضح أيضاً انه لم يعرف رينجولد

قال الزنجى بصفاقة : ماشأنك أنت بهذا العصفور الجميل ؟

فاستشاط رينجولد غضباً .وأخذ مسدساً من منطقته . وهوى بقبضته فوق مؤخر رأس الزنجى . فأن الرجل أنينا موجعاً . وسقط على الأرض فاقد الرشد وما كادت المرأة تتخلص من قبضة الزنجى. حتى أسرعت بالفرار داخل البناء . فلما بلغت نهايته توقفت وهى تنتفض من الخوف . وتمثلت فى عينيها السوداوين الجميلتين نظرة فزع . فنظر رينجولد الى صديقه . وهمس : أعطنى المسدس ياجيم . . وسأقوم بانفاذ القسم الذى قطعته على نفسك فأعطاه وينتر المسدس ووقف فوق عتبة الباب . ووزع اهتمامه بين الساحة الخارجية والزنجى الغائب عن الوعى ، والمرأة وصديقه داخل البناء . وعندما اقترب رينجولد من المرأة .ورأت المسدس فى يده . انكمشت فى نفسها . والتصقت بالجدار . ظنا منها أنه ينوى بها شراً . . فلما أصبح على قيد ياردتين منها كف القرصان عن التقدم . . ثم انحنى باحترام . . فظنت السيدة انه يهزأ منها . . وأخفت وجهها بين راحتيها . .

فقال رينجولد : لاتخشى شيئا ياسنيورا . ! انى أحمل اليك هدية من المرحوم زوجك فرفعت السيدة رأسها . . ونظرت الى القرصان بعينين منتقدتين . . ثم قالت بهدوء عجيب :

— آه ! هل مات ؟ فدفع رينجولد اليها بالمسدس . . واجاب :

— لقد مات كالجنود البواسل . . وكنت أنت آخر من فكر فيه !

فأخذت المرأة المسدس . . وارتسمت فى عينيها نظرة عجب وحيرة . . وسألت : لماذا جئت بهذا ؟ — وفاء لعهد قطعه صديقى الواقف

عند الباب لزوجك الباسل يا سنيورا . . فقد أراده على أن يحمل اليك هذا المسدس .. لكى تتبعيه ان شئت .. أو ان يذهب بك صديق الى بناما دون ان يتعرض لك أحد بالأذى .. فاختارى مايروقك

فبدت على وجه المرأة الجميل دلائل الحيرة . . وقالت بصوت خافت :

— انى . . لا أريد ان أموت ! — أصبت ياسنيورا . .

فهمست الفتاة : يا لله ! ماذا أفعل الآن ؟ — لو انى كنت فى مثل موقفك لحذوت حذوك .. فانك مازلت فى ربيع العمر ، ومن سخف الرأى ان تقبلى الموت طوعا واختيارا ..ثم لاتنسى انى وصديق أقسمنا على انقاذك ..

فقاطعته المرأة : كان زوجى كهلا

— ولكنه كان باسلا ياسنيورا وأرغمونى على زواجه

— لقد جنوا عليك وربى . . وهو أمر لايسهل نسيانه أو الاغضاء عنه .. كان ينبغى ان تتزوجى شابا فى مثل سنك ..

— ولم أكن أحبه — إذن فمن الجهالة ان تأخذى طريقك الى باب الأبدية فى أعقابه . . خير لك ان تطمئنى الى وتعتمدى على ساعدى ، فأقودك الى شاطىء الأمان .. الى بناما .. فلابد ان يكون لك أصدقاء فيها

فحملقت المرأة الى وجهه الجميل . . وكان المنديل قد سقط عن رأسه .. والجرح لايزال يقطر دماً . . وأما شعره فكان أشعث . . وثيابه ممزقة وملطخة بالأوحال . . فارتسمت فى عينى المرأة نظرة اهتمام . . وتألقتا ببريق يدل على ماهو أكثر من الفضول .

وسألت : لكن من أنت حتى اثق بك ؟

رجل بائس أضاع عمره منسيا فى خدمة جلالة الملك . . وأقسم ان ينقذك ياسنيورا فنظرت اليه بارتياب . . وسألته :

— لكن كيف ستذهب الى بناما ؟ ان اصدقاءك . . . .

ورآها تنظر صوب الزنجى المغمى عليه . فقال على الفور :

— ليس هذا الزنجى الوغد صديقى . . لكن اذا اعتمدت على ، فأقسم بكل شىء مقدس الا ينالك اذى طالما كان فى نفس يتردد

فأطالت المرأة النظر اليه . . وبدا عليها أنها تأثرت من حديثه . . اذ

قالت بهدوء . ولكن في شيء من التردد والريبة : واذا ذهبت معاك ، هل احتفظ بالمسدس معى ؟ فضحك رينجولد ، وهتف : لتطلقيه على ؟ اصغى الى ياسنيورا ، ساعطيك مسدسا آخر ـ مسدسا من مسدساتى لتتوفر لك وسائل الدفاع عن نفسك ، ولكنى اعدك بأنك لن تجدى حاجة الى استعمالها لأنى سأكون ملاكك الحارس ، واحافظ عليك ، ك.. كزوجك تماما فاندفع الدم الى وجنتى المرأة ، وصبغهما بحمرة الخجل ، وارتسمت في عينيها نظرة شبيهة بنظرات الغضب

ثم قالت باصرار : سيدى ، كان لى زوج ، ولست أرغب فى أن يكون لى آخر فانحنى لها رينجولد ، وقال: ارجو صفحك يا سنيورا ، لقد افلتت الكلمة من شفتى عن غير قصد ، فاعتبرينى اذن اخا لك

— لى أخ واحد ! — فليكونا اثنين اذن ، ان الوقت ضيق وقد يفيق الكلب الأسود من اغمائه قبل ان نصل الى قرار ، هل تسمحين لى بأن اتولى حمايتك ؟

— لاسبيل لى إلى غير ذلك

فتألقت عينا القرصان ببريق السرور .. وسألها :

— أين كنت ياسنيورا عند ماعثر عليك الزنجى ؟

فقالت وهى تشير بيدها الى ركن معتم : هناك .. فى ذلك الجب

— أرجو أن تعودى اليه لفترة قصيرة حتى أعد العدة لانقاذك . وسيقوم صديقى وينتر على حراستك أثناء غيبتى .. ينبغى أن تعلمى أنى لاأستطيع أن أذهب بك الى المعسكر وأنت بحالتك الراهنة

— وينتر ؟ هل قلت وينتر ؟

— نعم ياسنيورا ! لكن لاتخافى .. إنه رجل وديع مسالم !

فقالت المرأة باذعان : سأذهب ياسنيور .. ولكن أرجوك ان تترك السنيور وينتر لاتجاذب معه أطراف الحديث

فقال رينجولد ضاحكا : سأتركه لك أخا ثالثاً .. واليك المسدس الثانى الذى وعدتك به وانتزع مسدساً من منطقته وقدمه لها فأخذته بغير ما لهفة . . وقالت : أظن . . أظن انه فى استطاعتى أن أثق بك بغير

هذا ياسنيور فانحنى لهـا شاكرا .. ولـكنه اصر على أن تستبق المسدسين معها .. ورافقها الى الجب . . ثم انسحب الى الخارج . . ولمـا التقى بصديقه .. سأله :

— هل سمعت ياجم ؟ — كل شيء !

— اذن فسأتركها فى حمايتك حتى أعود ، فاذا أفاق هذا الوغـد الاسود من اغمائه وحاول أن يصل اليها فاطلق عليه النار ، والآن ، اذهب اليها ياصديقى

ثم انطلق عبر الساحة الخارجية ، فظل وينتر يرقبه حتى غاب عن ناظريه ثم مضى الى الجب حيث كانت المرأة فى انتظاره

وكان الظلام حالـكا ، فلم يستطع أن يميزها جيداً ، ولـكنه سمعها تقول له فى ضراعة : أحق ماقاله لى صديقك ياسنيور ؟

— عن زوجك ؟ نعم ياسنيورا ، لقد مات موت الأبطال ، ولـكنـه أعطانى المسدس قبل أن يسلم الروح وطلب الى أن أحمله اليك

فهزت كتفيها وقالت بسخرية : هدية موت ! ! هذا شيء محزن لشخص يحب الحياة ! انه أرادنى على الانطلاق فى أثره و . . .

— أظن انه كان يفـكر فيك ياسنيورا . .

— أتعتقد ذلك ؟ انك لاتعرفه ياسيدى ، اخبرنى ، هـل أستطيع أن أعتمد على صديقك ؟ فاجاب باقتضاب : نعم . يمكنك أن تعتمدى علينا ، فان الوعود المقطوعة للموتى مقدسة

— وهل سيأخذنى إلى بناما ؟ — نعم ، حتى ولو اضطر أن يحملك طول الطريق ! فضحكت المرأة ضحكة رقيقة رنانة وقالت :

— انه لما أغبط عليه أن يحملنى رجل جميل بين ذراعيه !

وما كادت المرأة تنتهى من قولها حتى سمع وينتر أنينـا منبعثاً من الخارج ، أعقبه وقع أقدام فى الساحة الخارجية ، فنظر الشاب خلفه على عجل فرأى الزنجى يحاول الوقوف على قدميه وصاحت المرأة : ماذا .. ؟

— صه ياسنيورا ! لقد استرد الزنجى وعيه ، هل تريدينه على مضايقتك مرة أخرى ؟ فاجابت ضاحكة : إنى لا أخافه الآن ! فان معى مسدسين يكـفيان لقتل رجل واحد على الأقل

فهمس بحدة : يلوح لى أنك لا تدركين حقيقة الموقف ، لو عرف الرجل أنك هنا لاستغاث برفاقه ! وعندئذ لن تستطيع عشرة مسدسات أن تدفع عنك أذاهم فهمست : أصبت ، اخبرنى هل انصرف الشيطان ياسنيور ؟ فذهب وينتر إلى الباب ، ثم عاد بعد لحظة وأنبأها بذهاب الزنجى ، فتنهدت دلالة على الارتياح ، ثم استأنفت الحديث الذى انقطع ، فقالت باسمة : لعلك تريد أن تكون حاملى إلى بناما ؟

فاجاب بصوت أجش : كلا ، انى أترك ذلك لصديق لأنه أقوى منى

فقالت ممازحة : لنفرض أنى كنت بنيتادى ريفاديو لاتريزادى اكويليرا

وضحكت دون أن تتم عبارتها .. وعندئذ نسى وينتر نفوره منها لسؤالها غير اللائق .. وهتف : كيف عرفت ذلك ياسنيورا ؟

— آه : يخيل إلى انى بدأت استرعى اهتمامك ؟ ان المسألة من السهولة بمكان .. منذ أسابيع قليلة جاءت السنيوريتا الى هنا .. مع صديق .. او عشيق .. فعض جيمس على ناجذيه .. ولكنه تمالك رباطة جأشه .. وهتف بهدوء تام : عشيق ؟ فضحكت تريزادى اكويليرا وقالت : رجل يدعى انطونيو بيرالتا .. رجل عظيم مقرب من حاكم بناما .. لا أظن انك ستجد صعوبة لكى تتكهن بالعلاقة التى بينه وبين بنيتا ! — وهل تحدثت بنيتا عنى ؟

— كهارب ساعدته على الوصول الى الحرية بدافع من الشفقة .. فتلك طبيعة بنيتا .. انها تحب الاشتراك فى المغامرات

أدرك وينتر من لهجة المرأة انها تمزج السم بالعسل ، فخشى ان هى استرسلت فى هذه الناحية ان تنطق بما يؤلمه .. فأدار دفة الحديث الى ابن عمه .. وسألها : ولماذا جاء انطونيو دى بيرالتا الى هنا ؟

— جاء لمقابلة زوجى بصفته قائد حامية الحصن

— أقسم أنه جاء ليحذره .. أليس كذلك ياسنيورا ؟

— وكيف أعرف ياسيدى — أوه ! انك تعرفين كل شىء ياسيدتى كما أعرفه أنا .. لقد جاء بيرالتا ليقول لزوجك أن يتأهب ويستعد لمقاومة القراصنة .. أليس كذلك ؟ وقبل أن تتمكن من الاجابة

أردف بحدة : أجيبي .. وإلا فبحق السماء .. أقسم ألا نظلك أنا وصديقي بحمايتنا — هل تحنث في قسم لرجل ميت ؟

— لاريب ان الميت سيهتز طربا لعملي إذا قرأ ما يدور بخلدك .. اجيبي وإلا .. هزتها لهجته الصارمة .. فأجابت بصوت مرتعد :

— نعم .. جاء ليحذرنا

— ثم رحل إلى بناما ليحذر أصحاب الشأن فيها ؟

— لا أعرف شيئا عن ذلك .. ولكن أظن أنه كان ينوى الزواج من بنيتنا بمجرد وصوله الى هناك .. انه ..

سمع وينتر وقع خطوات في الخارج .. فاستدار على عقبيه .. وعندئذ رأى صديقه رينجولد قادما ، وهو يحمل ثيابا فوق ذراعه ..

وتنفس وينتر الصعداء .. ثم انسحب إلى الخارج دون أن ينطق بكلمة أخرى .. فسأله صديقه : ألم يأت احد ياجيم ؟

— كلا ، سأتركك الآن مع امرأة لها عقل هرة ، ولسان حية ! !

فأطال رينجولد النظر إلى وجه صديقه . . ثم ضحك وقال :

— لطالما دربت حيات قاتلة ياجيم ، فلاتخش شيئا .

الفصل التاسع

مضت ساعتان قبل ان يتقابل الصديقان مرة أخرى ، وكان وينتر يراقب عملية اطفاء الحرائق التي كانت تنذر بالتهام القلعة كلها ، فلما سمع صوت صديقه ، استدار على عقبيه . ونظر اليه متسائلا

فقال رينجولد : لدى انباء لك ياجيم ، لقد قتل برودلي ، وأصبحت انا قائد الحملة — يؤسفني ان اسمع بمقتل برودلي ، ولكنى مسرور من اجلك يامارك ورأى وينتر صبيا هنديا يتسكع على مقربة منهما ،ومعه زجاجة من الجلد تحتوى على نبيذ معتق ، فعجب جيمس لأمره ، ونظر إلى رينجولد بدهشة ، فضحك هذا ، واشار الى الصبي لكى يقترب ، ثم أمره بأن يملأ لوينتر قدحا

وقال لصديقه : خذه ياجيم واجرعه ، فربما يزيد في قوة ابصارك

فأخذ وينتر القدح ، ورفعه الى شفتيه ، ولـكنه ما كاد ينعم النظر إلى وجه الصبي ، حتى توقف عن الشراب ، وصاح : ياللشيطان ! !

فضحك رينجولد ، وقال : نعم ، انها السيدة ! اذا اردت ان تخفي أمرأة بين رجال كالوحوش فدعها تتزى بزيهم ، وعندئذ يتعذر عليهم اكتشاف امرها ، ان بردو خادمي الجديد ، فقد قتـــل خادمي السابق برصاصة احد الاسبانيين ، مارأيك في تنكرها ؟

فأجاب وينتر وهو ينظر الى الهندي المزعوم باعجاب : بديع وايم الحق .

— وهكذا نستطيع ان نبر بوعدنا ، ونذهب بالسنيورا إلى بناما دون التعرض للمتاعب . فهز وينتر رأسه ، ولم يجب ..

كان قد لاحظ من نظرات الصبي اوبالحرى السنيورا تريزا ، إلى صديقه انها مغضبة حانقة ، فأدرك ان تنكرها الحالي قد يكفيهم عناء متاعب هم في غنى عنها ، ولـكنه لن يكون خاتمة للرواية التي بدأت بافتتاحية غريبة

ولم يمض طويل حتى تحققت مخاوف جيمس ، ذلك ان رينجولد انهمك في اعداد وسائل الدفاع عن القلعة ريثما يصل مورجان وبقية جيش القراصنة واختار المنزل الذي كان يقيم فيه القائد الاسباني الراحل لاقامته ، فاذا اتفق وجاء بعض رجال الحملة للشراب مع رينجولد قامت السيدة بخدمتهم وهي متنـكرة في زي الصبي الهندي ، ولـكنها تسترد شخصيتها الحقيقية وتلزم غرفتها اذا خلا القرصان الى نفسه

واتفق ذات ليـلة أن ذهب وينتر لمقابلة صديقه ، وأطل مـن إحدى النوافذ ليستوثق من وجود رينجولد بالداخل ، وعندئذ جمد الدم في عروقه واستولى عليه الفزع رأى صديقه رينجولد جالسا إلى منضدة وهو يعبث بكأس فارغة ، وهو يلقي ببصره أمامه في خمول وتراخ ، شـأن الرجل إذا أكب على تعاطي الخمر ، فاستولت الدهشة على وينتر ، فقـــد لاحظ أن صديقه يسرف في معاقرة بنت الحان منـذ استولى القرصان على القلعة . هم وينتر بالابتعاد عن النافذة ، عنـدما رأى بابا خلف صديقه تماما ينفتح ببطء شديد ،كأنما أراد الشخص الذي يفتحه أن يتجنب إحداث أي ضوضاء تزعج رينجولد

وعجب وينتر للامر ، وراح يرقب الباب باهتمام ولهفة ، وفي تلك اللحظة ملأ رينجولد لنفسه كأسا من الشراب، ورفعها إلى شفتيه ، ثم جرعها دفعة واحدة ، وأخذ يغني وعندئذ توقف الشخص الذى كان يفتح الباب عن فتحه ، وبدأ يغلقه بحذر ، وأدرك جيمس أنه لابد من وجود صلة ما بين الغناء وعملية فتح وإغلاق الباب ، فانه ما كاد رينجولد يكف عن غنائه حتى أخذ الباب يفتح مرة أخرى ببطء شديد

وغاص رينجولد في مقعده ، واستقر رأسه فوق صدره كأنما أخذته سنة من النوم على أثر إفراطه في الشراب

وفي اللحظة التالية تسللت السنيورا تريزا إلى داخل الغرفة من خلال الباب نصف المفتوح وهي متنكرة في ثياب الصبي الهندى ، وكانت عيناها تتقدان ببريق عجيب ، فراح وينتر يراقبها عن كثب وهو يتساءل عما سيحدث في اللحظات المقبلة ، ولكنه لم ير رينجولد وهو يفتح عينيه قليلا وينظر أمامه باهتمام ثم يغلق عينيه فورا مدعيا النوم

بيد أنه رأى شيئا عقد لسانه ، ذلك أن المرأة أخذت ترفع ذراعها ببطء وعلى ضوء المصباح رأى وينتر في يدها مسدسا يلمع

طار لبه عندما رأى المرأة تصوب المسدس إلى راس صديقه ، فصاح محذراً : ياللسماء .. !

ولكنه أمسك فجأة ، فقد أفاق رينجولد من نومه . واستوى في مقعده فدفع المنضدة التي أمامه ، فسقطت فوق الارض ، وتهشمت الزجاجة والكأس وتناثرت القرصان ، ونظر إلى الارض باسف ، فنظر وينتر إلى السنيورا تريزا ، ولكنه لم يجد لها أثرا ، فاسرع إلى الباب المؤدى إلى غرفة صديقه ، وهم بمصارحته بما رأى ، ولكن رينجولد رفع أصبعه إلى شفتيه محذراً ، وغمز باحدى عينيه ، فقال جيم مأخوذا :

— هل رأيت ماحدث ؟

فضحك رينجولد ضحكة رقيقة . وأشار إلى صديقه بالجلوس أمامه .. ثم رفع يده وأشار إلى مرآة موضوعة بحيث يستطيع أن يرى على صفحتها صورة الباب الذى وقفت به السنيورا تريزا والمسدس في يدها ، فادرك وينتر

الحقيقة وساله : اذن فقد رأيت ماحدث ؟

فأجاب القرصان وهو يقهقه ضاحكا :

— نعم.. رأيت كل شيء ، إنها قصة رائعة أعيد تمثيلها ثلاث مرات حتى الآن ، ولقد كنت أراهن نفسي في كل مرة على ان السنيورا ستطلق النار — ولكني خسرت الرهان على طول الخط

ولما هم وينتر بالاعتراض . قاطعه صديقه ضاحكا :

— انها لا تستطيع ياعزيزي ، لقد كانت تحمل المسدس الذي أعطيته لها ! انها تكرهني — وتكرهنا جميعاً لأننا قتلنا زوجها الذي اعترفت بأنها لم تكن تحبه — اذن فهي تحب..

— ياإلهي ! كلا ، فالرجل كهل محناك ، ولكنه كان يبدو لها كجد — لا كزوج يلائم شبابها ، انها تعتبر موتي ، كثائد خلف زوجها . واجبا محتما عليها تدين به لذكرى الكهل ، ومع ذلك فانها لا تجرؤ على اطلاق النار علي . لقد راقبتها مرتين في المرآة ، ولكنها كانت تنسحب في النهاية دون ان تنفذ ماعقدت عليه العزم . فلماذا ؟ هل تستطيع ان تحل هذا اللغز ياجيم ؟ — هذا ليس في مقدوري — ولكني أستطيع أن أعلله !

— ومع ذلك فانها مجازفة خطرة يارينجولد ، فلو انها أطلقت النار عليك من مسافة قريبة — .. فلا شك سأنطلق في طريق الابدية وأنا أحمل أنباءها الى زوجها الراحل

وتمهل رينجولد هنيهة ، ثم أردف : ان خادمي الجميل ، كالمرة . لها مخالب تعرضها ، ولكنها لا تستعملها ، انها تعرف الواجب ولكنها لاتؤديه ، فلماذا ؟ فأجاب وينتر : ومن أين أعلم ياصاح ؟!

فنظر رينجولد الى الباب المغلق ، ثم قال هامساً : إني أراهن انه لو انطلق المسدس وأصابني . فستحزن السنيورا ترزا حزناً شديداً

فقال وينتر معقباً : وبماذا يفيدك حزنها اذا خسرت حياتك ؟

ولكن وينتر كان مخطئا في زعمه ، فما انقضت ثلاثة أيام الا واطلقت السنيورا ترزا مسدسها ، ولكن لا لتقتل صديقه رينجولد . وانما لتنقذه من الموت كان رينجولد جالساً يعب من الخمر في غرفته كالعادة ،

لم يشا ان يغلق باب الغرفة الرئيسى ، اذ كان الليل شديد الحرارة ، واخذ يراقب الباب الموارب فى المرآة ، وهو يراهن نفسه للمرة الرابعة على ان السنيورا تريزا ستطلق النار عليه

واتفق أن دخل خفاشان الى الغرفة ، وفيما كانا يحلقان فى سقفها ، اذ ضرب أحدهما الشمعدان الموضوع فوق المنضدة فاسقط شمعتين من شموعه ، وعندئذ هم رينجولد بالنهوض ليعيد الشمعتين الى مكانهما ، ويشعلهما ، ولكنه سمع صوتا يشبه الصرير ، فجمد فى مكانه ، وأغلق عينيه ، وانتظر

كان مرهفا سمعه فى انتظار ما سيحدث خلفه ، وبعد هنيهة فتح عينيه ، ونظر الى المرآة ، فرأى السنيورا تريزا واقفة خلفه ، والمسدس فى يدها

والتقت عيونهما فى المرآة ، ولم يتمالك رينجولد من الضحك ، وفى اللحظة التالية انطلق المسدس ، ومرت الرصاصة بجانب وجهه ، ثم اصطدمت بالمرآة فحطمتها فصاح رينجولد باستخفاف : مرحى ياسنيورا ! انك ...

ولكنه امسك عن الكلام ، ذلك انه رأى شيئا ينبعث واقفا فجأة من الأرض شبه المعتمة ، واستطاع على ضوء الشموع ان يرى الزنجى العملاق الذى حال بينه وبين السنيورا تريزا منذ بضعة أيام وكانت عينا الزنجى تتقدان ببريق الحقد والبغضاء

وفى اللحظة التالية ـ استل الزنجى حسامه ، وانقض على رينجولد ، فمال هذا جانبا ليتفادى الطعنة وصرخت السنيورا تريزا صرخة مروعة ، وأطلقت الرصاص على الزنجى فأردته قتيلا لساعته

ولم يعبأ القرصان بالزنجى ، وإنما تقدم من منقذة حياته ، وصاح وهو يأخذها بين ذراعيه : انتها الوردة اليانعة !!

وأخذت المرأة تقاومه فسقط المسدس من يدها ، وراحت تضربه بكلتا يديها فوق صدره ولكن برفق ، فضحك رينجولد ضحكة جوفاء ، ولم يخل سبيلها ، ثم قال : لقد كانت اصابة موفقة ، انى مدين لك بحياتى ! ياالله انتها الصغيرة ، دعينى ارى وسمعها تشهق ، فصاح : ياالهى ! كلا ، لا تبكى يا عزيزتى الجميلة ! فرفعت وجهها فجأة ، فرأى عينيها مغرورقتين بالدموع ، دموع الخجل والحب ..

وكفت المرأة عن المقاومة ، واسندت رأسها إلى صدره ، فمال فوقها وقبلها فوق عنقها ، فأحس بها تنتفض بين ذراعيه ، فهمس فى اذنها قائلا :

— ايتها الصغيرة ! انك اشجع من رأيت من النساء !

فصاحت بصوت يغص بالدموع : أوه ! لقد كدت اقتلك عندما ضحكت

فقال ضاحكا : انى اتحدث عن ذلك بالذات ..

ولكنه لم يتم عبارته فقد اندفع وينتر إلى الغرفة فى تلك اللحظة وهو يصيح : لقد سمعت طلقات نارية ، فماذا حدث بحق السماء .. !

فضحك صديقه وقال : أوه ! أهذا انت ياجيم ، انى احمق سعيد ، لقد

اخطأتني الرصاصة الأولى . وأما الثانية فقضت على هذا الزنجي اللعين

وفجأة . اهتز البناء . ودوت طلقات المدافع . فاندفع وينتر الى الباب ولكن رينجولد استوقفه قائلا : انها مدافع الأميرال تحيي غزاة شاجرز ، وأنت ياصديقتي الصغيرة أشجعهم جميعا !

الفصل العاشر

اطلقت مدافع الشاطىء رداً على تحيـة سفن الاميرال . فقال رينجولد يحدث المرأة التي بين ذراعيـه : تحيـة مزدوجة ! يخيل الى أن لدى هنرى باروداً كثيراً ! ورفع المرأة بين ذراعيـه ، حتى حاذى فمها فمه ، ثم قبلها فوق شفتيها ، وأنزلها الى الارض . وقال برفق :

— عودي الى غرفتك ياعزيزتي ، فاني ذاهب لمقابلة الاميرال . ولكن أرى أولا أن أحشو لك السدسين لتدفعي بهما عن نفسك كل من يحاول الاعتداء عليك أثناء غيبتي

وبعد أن حشا السدسين . ودفع بهما اليها ، انتظر حتى ذهبت الى غرفتها ثم التفت الى صديقه وضحك حتى كاد يستلقي على قفاه

ونفخ في صفارته . فأقبل أحد القراصنة ، فقال له : احمل جثة هذا الزنجي الى الخارج . لقد حاول قتلي بسيفه فاضطررت الى قتله

ثم تحول الى صديقه . وأردف : هلم بنا الى السور لنشاهد الارمادا ياجيم

وانطلقا الى أعلا بقعة في سان لورنزو . ووقفا يراقبان البحر . فرأيا أنوار السفن على مبعدة ، فنظر اليها رينجولد بتأمل . ثم ضحك وقال :

— هذه هي البداية الحقيقية لمغامرتنا الجنونية ، والله وحده هو الذى يعلم النتيجة التي ستتمخض عنها

فرفع وينتر رأسه . ونظر الى صديقه نظرة فاحصة ، وسأله :

— هل تظن أننا سنخفق ؟

— لا أظن ذلك طالما كان قائدنا هنرى مورجان . انك لاتعرف الرجل ياجيم ، انه جبار عنيد لايتراجع ، ولا ينكص اذا ما بدأ احدى رحلاته الجريئة — وهل سنترك السنيورا تريزا هنا ؟

فضحك رينجولد ، وأجاب : هل تعتقد انها تقبل البقاء هنا ؟
— كلا ، لا أظن ذلك — ولا أنا أيضا ، ومع ذلك فسوف نرى . والآن هلم بنا لنستعد لمدافع تحية الصباح

* * *

وفى الصباح هبط السير هنرى مورجان الى البر . . فاستقبله القراصنة الذين غزوا سان لورنزو بعاصفة من التهليل والهتاف

وقضى الاميرال يومين فى سان لورنزو . . ثم أصدر أمره للجيش بالابحار . . ومن ثم ركب الف وسائتا جندى نحو ثلاثين سفينة صغيرة . . ولم يسمح لهم بأخذ كثير من المئونة . . نظراً لقلة عمق النهر . . وثقل المؤن .. وقبل ان ينصرم حبل اليوم الأول كان أكثر الجنود قد أتوا على مامعهم من طعام . . فما كادوا ينزلون الى البر حتى راحوا يبحثون عبثا عنه . . فقد كان سكان القرى التى مروا بها قد هجروها بعد ان حملوا معهم الأطعمة وخربوا المساكن . .

والتقى وينتر بصديقه رينجولد . . وكان جالساً يصطلى مع السنيورا تريزا . . وراحوا يستعرضون الموقف . . فقال القرصان :

— اصغ الى ياجيم . . إننا الآن فى بداية المغامرة . . سواء كان بيرالتا ابن عمك أو اسبانيا عظيما ، فقد خاننا اللعين .. فان الاتفاق بيننا يقضى بأن تكون غزوتنا سراً مكتوما لكى نستطيع الحصول على الطعام من القرى التى نمر بها . . ولكن ها أنت ترى كيف مكر بنا النذل . . ! ! ان الرجال يكادون يموتون من الجوع

وتحققت مخاوف رينجولد . . فقد استبد الجوع بالجيش .. وكان عثور الجنود على حقيبة أو اثنتين من الجلد فى إحدى القرى المهجورة كافيا لأن يتقاتلوا فى سبيل الظفر بقطعة منها كما يتنازع الكلاب عظمة ملقاة فى الطريق . . ولم يجد الجنود مايقتاتون به سوى الحشائش وأوراق الأشجار . . فخيل لوينتر انه يعانى من تأثير حلم مخيف . . وراح يتساءل كيف يستطيع جيش هذه حال رجاله ان يقاتل الاسبانيين أو حتى يستمر فى الزحف . . ولكن الجيش ظل يتقدم غير عابىء بآلام الجوع . . ولا

بالعقبات الطبيعية التي اعترضت سبيله . .

وبزغت شمس اليوم السادس . . فبدأ الهزال والضعف يدبان فى أجسام الجنود . . وكانوا قد أشرفوا على إحدى الغابات . . فراحوا يخترقونها وهم يستندون الى الأشجار . . ولم يدر بخلد أحدهم ان ينكص على عقبيه ، أو يتخلف فى الطريق . كأنما كانت تدفعهم الى المسير قوة خارقة . . ولا عجب . . فقد كانوا جميعا يحلمون بالمدينة الذهبية . . ولم يكن يبعدهم عن بلوغها غير الموت وحده وبعد ساعتين وصلوا الى حدود الغابة . . وخرجوا الى منطقة الحشائش . . فاعتلى رينجولد ربوة عالية . . وما كاد يصل الى حافتها حتى صاح صيحة الفرح . . وقذف بقبعته فى الهواء . . فاسرع وينتر بالانضمام اليه . . وراح يحملق فى المنظر الذى رأته عيناه . .

رأى أمامه البحر . . والسفن تروح وتغدو ، وأشرعتها منتفخة بالريح ، بينما كانت تزين صفحة الماء عدة جزر متفرقة . . كقطع من اللؤلؤ الأخضر . .

وعند أسفل الربوة التى يعتليانها ، رأى الصديقان قطعانا من الأغنام ترعى الكلأ ، فركض قلباهما بين ضلوعهما ، وأدركا أن أزمة الجوع قد انفرجت وأشار رينجولد الى سحب كثيفة من الدخان عند نهاية منطقة الحشائش ، وقال بصوت يتهدج من فرط السرور : هذه هى بناما . مدينة الذهب ! ياإلهى ، لقد نازلنا الموت ، وانتصرنا فى النهاية !

ونادى رينجولد بعض الرجال ، وأمرهم باقتناص عدد من الماعز ، وان هى إلا دقائق معدودات حتى كان الجنود قد أشعلوا نارا مشبوبة وجلسوا يشوون لحم الماعز ويأكلون ، وقد نسوا الأهوال التى عانوها

وعندما جن المساء ، رافق رينجولد السنيورا تريزا الى خارج المعسكر وقال لها : هذه ياسيدتى هى أنوار المدينة التى أقسمت أن أصحبك اليها دون أن تصابى بأذى أو مكروه فقالت بشىء من الحزن : انى أشكرك من كل قلبى فأردف القرصان ضاحكا : سوف تجدين هناك رجالا مقدسين يحملون الانجيل ، ويعقدون القران بين قرع الأجراس وعلى ضوء الشموع — ونساء صالحات يستطعن رتق الجوارب وهن يضرعن الى الله . . أظن أننى سأدخل أحد الأديرة !

فقهقه رينجولد ضاحكا ، وصاح :

— أنت ؟ أنت التى خلقت للحياة والحب ؟ تختارين قبرا !! ياعزيزتى ..

ومد يده ليجذبها نحوه ، ولكنها ابتعدت عنه على عجل ، وركضت بكل قوتها . . وسرعان ما ابتلعها الظلام

الفصل الحادى عشر

أفاق وينتر على قرع أجراس كتدرائية سان انستاياس ، وكان الفجر قد بدأ ينبثق ، والنسيم يهب عليلا ، وما لبث قرع الطبول أن ارتفع على دقات الاجراس ، فهب الجنود من نومهم ، وجلسوا يتناولون طعام الافطار ثم شحذوا أسلحتهم استعدادا للقتال وجاء رينجولد لمقابلة صديقه وكان وجهه مصفرا ، وحول عينيه هالتان زرقاوان فادرك وينتر أن صديقه لم يذق طعم النوم ، فسأله بلهفة : ماحدث يارينجولد ؟

فغمغم القرصان فى حزن وخفوت : لقد رحلت ! رحلت ليلة أمس

ونظر صوب المدينة الذهبية بأسى ، ثم أخذ مسدساً من منطقته وقال :

— لقد تركت لى هذا ! فقاطعه وينتر : أليس هو مسدسك ؟

— كلا .. وهذا أغرب مافى الامر ! انه المسدس الذى بعث به اليها زوجها الكهل قبيل وفاته .. عثرت عليه ملقى عند قدمى مع ثياب الصبى الهندى التى كانت تتنكر فيها عند ما أفقت من نوم مضطرب منذ ساعة .. لاريب انها عادت الى المعسكر بعد ان افترقنا ، ووضعت هذه الاشياء حيث وجدتها .. واستطاعت بطريقة ما أن تفلت من حراس المعسكر .. وذهبت إلى المدينة ! ! ساد الصمت بين الصديقين .. وأخذ كلاهما يطيل النظر الى المدينة البعيدة .. وقد اختلفت مراميهما من الذهاب اليها .. فرينجولد يرجو أن يوفق فى العثور على السنيورا تريزا هناك ليقنعها بالزواج منه ، ووينتر ينشد الثأر من غريمه الذى سامه سوء العذاب وينتزع من قبضته فتاة أحلامه ! وما كادت الشمس ترتفع فى الأفق حتى صدر الأمر بالزحف .. فبدأ الجنود يتسلقون الربوة .. ثم انحدروا إلى منطقة من الحشائش .. وكلما أوغلوا فى السير كلما اقتربوا من المدينة الذهبية التى

يتحرقون شوقا للاستيلاء عليها .. ولكنهم ما كادوا يشرفون على المدينة حتى رأوا الجيش الاسبانى فى انتظارهم .. وكان عدده يربو على ضعف عددهم .. ولكن ذلك لم يقلقهم بقدر ما أقلقتهم رؤية قطيعين كبيرين من الثيران المتوحشة .. كل قطيع منهما يحتل أحد جانبى منطقة الحشائش التى يتحتم عليهم اجتيازها هتف أحد الكهول : أبشروا .. ان الاسبانيين يقدمون لنا اللحم الذى سنأكله فى جنازتهم

فرماه رينجولد بنظرة يتطاير منها شرر الغضب .. وصاح بحدة :

— يا للشيطان ! لم أر فى حياتى جنوداً يرعون الثيران فى ساعة القتال ما أعجب شأنك يا صاح ! وأصدر أمره للجيش بالهجوم .. فامتلأ الفضاء بطلقات المسدسات .. وبدأت المعركة ..

كان القرصان مشاة .. وأما الاسبانيون فكانوا من الفرسان .. وقد التقوا بجيش القرصان فى صف منتظم .. فاصدر رينجولد أمره للقراصنة بالانبطاح فوق وجوههم .. وراحوا يمطرون الجياد وراكبيها بوابل من رصاصهم .. فاجفلت الجياد والقت ممتطيها على الأرض .. واختلط الحابل بالنابل .. فاضطر الفرسان الى التقهقر .. ولكنهم كانوا قد شقوا طريقا للمشاة الاسبانيين .. الذين زحفوا وهم يدفعون آلاف الثيران أمامهم كالبحر الخضم ..

كان الاسبانيون يرمون الى القاء الذعر فى قلوب القراصنة ، وايقاع الاضطراب فى صفوفهم ، ولكن ما كادت الثيران تسمع دوى الطلقات حتى أجفلت ، وتملكها الفزع فارتدت على أعقابها ، واندفعت بين صفوف الاسبانيين ، فأحدثت فيها الارتباك ، وفتكت بالكثيرين من رجالها

وأمر رينجولد رجاله بتعقب فلول الاسبانيين ، ولكنهم ما كادوا يصلون الى حدود المدينة حتى استقبلهم المدافعون عنها بطلقات المدافع ، فسقط بعض المهاجمين ، ولكن الجيش ظل يتقدم حتى دخل المدينة ، وتفرق رجاله فى مختلف الشوارع يقاتلون ما تبقى من الجيش الاسبانى

وأما رينجولد فانطلق مع وينتر على رأس شرذمة من الجنود الى موقع المدافع ، وهاجموا رجالها ، وفتكوا بهم

وعندئذ تحولت المعركة الى سلسلة من المبارزات بين فئات صغيرة من الرجال ، وكان سكان المدينة يطلقون الرصاص على القراصنة من نوافذ منازلهم وأسطحها ، ولكن ذلك لم يفت في عضد المهاجمين ، فكانوا يقتحمون الدور ويفتكون بمن فيها

وبينما كان وينتر يسير مع صديقه رينجولد وبعض الجنود في شارع المدينة الرئيسي ، إذ أصيب الرجل السائر بجانب وينتر برصاصة أردته قتيلا ، فرفع جيمس بصره الى النافذة التي أطلق منها الرصاص ، ورأى وجه امرأة جعل الدم يغيض من وجنتيه ، وقلبه يغوص بين جنبيه ، وساوره خوف لم يشعر به في أشد ساعات القتال

لم تطل رؤيته لذلك الوجه الأبيض ، فقد أسرعت صاحبته بالانسحاب من النافذة ، ولكنه كان واثقا من أنها هي بنيتا دي ريفاديو

هتف بصوت أجش : بنيتا !؟ وهنا ؟ ! يا الهي !!

وبعد هنيهة كان يركض نحو الدار ، وكانت داراً أنيقة مشيدة من خشب الأرز شأن سائر منازل أصحاب الجاه والثراء في المدينة

وكان الباب مغلقا ، فحاول أن يحطمه بكتفه ، ولكنه أخفق ، فأخذ يطرقه بعنف دون أن يتلقى جوابا من الداخل ، ولم يكن ذلك بالأمر المستغرب فان طلقات المسدس كانت تطغى على كل ماعداها من الأصوات

وتصادف أن مر اثنان من القراصنة ، فدعاهما وطلب اليهما أن يحطما الباب ، فعالجاه بمؤخرة بندقيتيهما حتى استطاعا أن يسقطا الرتاج

وما كاد الباب ينفتح حتى تسلل جيم وينتر الى داخل المنزل وهو ينتضي حسامه فألفى نفسه في ردهة فسيحة ، فتمهل هنيهة ، وهو يصيخ السمع ، ولكن السكون كان يخيم على الدار

رأى أمامه درجا عريضا يؤدي الى الطابق العلوي ، فارتقاه ، حتى إذا بلغ قمته رأى دهليزا تقوم على جانبيه عدة أبواب مفتوحة ، فتريث مرة اخرى ، وشرع يطل داخل الغرف فالفاها خالية ، ومع ذلك فقد كان واثقا من وجود بنيتا في الدار ، لانه يستحيل عليها أن تخرج إلى الشارع

دون أن يراها ، اللهم إلا إذا كان للمنزل باب خلفي يؤدي إلى طريق آخر وفي هذه الحالة يكون بحثه عنها في المنزل مضيعة للوقت

وتوقف قليلا أمام الغرف الثلاث التي تطل على الشارع الذي كان يجتازه عندما رأى وجه بنيتا في النافذة، وتقدم من أقربها اليه ، وطرق بابها فلما لم يسمع جوابا ، أدار المقبض بحذر ، ثم أطل الى الداخل ، فالفى الغرفة خالية ، فانتقل إلى الثانية ، ولكنه لم يكن أسعد حظا كذلك ، ومن ثم تحرك صوب ثالث الابواب بقلب واجف ، وأدار مقبضه بهدوء ، ثم نظر إلى الداخل ، فلم ير أحداً ، بيد انه لم يستطع أن يميز ما في أركان الغرفة لشدة الظلام ، كما كانت هناك ستائر مسدلة فوق النوافذ تصلح للاختباء ، فعبر الغرفة وأطل في أركانها وخلف الستائر ولكنه لم يعثر على أحد

ورأى حقيبة مملوءة بالثياب فوق الارض ، وأخرى نصف فارغة فوق الفراش ، وعلى مقربة منها ثوب نسائي فادرك أن صاحبة الغرفة غادرتها على عجل سقط في يده ، فغادر الغرفة محيراً ، وراح يتساءل : أين ذهبت بنيتا؟

وتذكر انه غادر الباب الخارجي مفتوحا ، فعول على إغلاقه خوفا من أن يقتحم بعض القراصنة المنزل بحثا عن نقود أو جواهر ، ومن ثم هبط الدرج ، وأغلق الباب .. ثم أصاخ السمع .

واتفق أن كف القراصنة عن إطلاق النار لحظة واحدة ، ولكنها كانت كافية لان يسمع وقع أقدام خفيفة تسير في الطابق العلوي

ركض قلبه بين ضلوعه ، وأدرك من وقع الاقدام أن صاحبتها امرأة وشرع يرتقي الدرج مثنى مثنى ، وانطلق من فوره إلى غرفة النوم ، وشد ما كانت دهشته حينما لم يجد للحقيبتين أثراً

جمد في مكانه ، كان واثقا أن الشخص الذي حمل الحقيبتين لم يدخل الغرفة من الدهليز ، وإذن فلابد أن بالغرفة بابا خفيا يؤدي إلى دهليز سري

وأخذ يتحسس جدران الغرفة بيديه ، ولكنه لم يجد ما يدل على وجود باب خفي ، فبدأ اليأس يتسرب إلى قلبه وعول على الانصراف

وفجأة ، سمع صوت الباب الخارجي وهو يفتح ، فخيل اليه أن شخصا يغادر الدار فانطلق ركضا إلى الخارج ، وفي اللحظة التالية كان قد هبط

الى منتصف الدرج ، ولكنه جمد فى مكانه مصعوقا

لم ير أحدا بالردهة ، ولكنه سمع صوت المفتاح فى قفل الباب ، ثم فتح الباب ودلف الى الردهة شخص لم يستطع وينتر ان يتميز ملامحه بادىء الأمر ، ولكنه ما كاد يغلق الباب بالمزلاج ، حتى صاح بأعلى صوته : بنيتا!

ولما لم يسمع جوابا لندائه كرره مرة أخرى ، ثم تقدم من الدرج ونظر إلى أعلى ، وعندئذ وقعت عيناه على وينتر وهو واقف عند منتصف الدرج وحسامه مشرع فى يده ، فارتسمت فى عينيه نظرة تدل على الذهول والدهشة ، وما لبث ان استجمع اطراف شجاعته وقال بغضب وسخرية :

— انت ! ؟ انت ايها . .   فضحك وينتر ضحكة جافة ، وأجاب :

— نعم انا يا انطونيو بيرالتا ، او اى كان الاسم الذى تنتحله يابن العم !   وأخذ يهبط الدرج ببطء ، فاستل بيرالتا حسامه ، وانتظر

وكانت اللهفة والعجلة باديتين بجلاء على وجهه ، بينما راحت عيناه تشعان ببريق الحذر المشوب بالحقد والكراهية

وحينما وصل وينتر الى اسفل الدرج ، قال باقتضاب : هل يصلح هذا المكان للقتال ؟ فأجاب بيرالتا ببرود : نعم ، فالمكان فسيح والضوء كاف وبينما كان جيم يتهيأ لملاقاة خصمه ، خيل اليه انه سمع وقع أقدام خفيفة فى الطابق العلوى فأدار بصره ونظر إلى أعلا ، وعندئذ سمع بيرالتا يضحك ساخراً ، فأدار رأسه على عجل ، وعندئذ رأى عدوه اللدود يصوب اليه مسدسا كان قد انتزعه من منطقته

وقال بيرالتا : لقد ظفرت بك مرة ، ولكنك نجوت بدافع من شفقة سيدة عليك ، وأما الآن .. — ايها الكلب الغادر ..

وما كاد وينتر ينطق بهذه الكلمات حتى وثب إلى الأمام . وفى اللحظة عينها دوى فى الردهة طلق نارى رجع صداه فى ارجاء المنزل

الفصل الثانى عشر

ومن جهة ما فى الردهة سمع وينتر صوتا دله على ان الرصاصة اصابت اناء من آنية الزهور التى تزين المكان

واهاج الفشل حقد بيرالتا ، فلعن وشتم ، ثم قذف المسدس بعنف نحو الرجل الذى حاول ان يقتله منذ هنيهة ، فأصابه فى كتفه . ولكن وينتر لم يعبأ بالألم ، وتقدم من غريمه وعيناه تتقدان ببريق الكراهية المتأصلة

وفى اللحظة التالية اشتبك الغريمان فى مبارزة حامية ، وكان وينتر يمتاز على غريمه بالهدوء ورباطة الجأش ، ومع ذلك فقد كان يعلم انه ازاء مبارز ماهر .. واشتد وطيس القتال . واستطاع جيمس ان يرغم عدوه على التقهقر ، فقال هذا ساخراً : لعمرى يخيل الى انهم لقنوك دروسا فى الرقص فى المزرعة ياابن العم ؟

فأجاب وينتر والدماء تغلى فى عروقه : نعم .. تحت ضربات السياط ، ولكنك ستدفع ثمن هذه الدروس دما

فقهقه بيرالتا ساخراً ثم سدد الى جيمس طعنة نجلاء ، ولكن هذا

تفادها بخفة النمر ، فنم وجه بيرالتا عن الضجر وخيبة الرجاء ..

ولم يخف على جيمس ان مبارزه يريد انهاء المبارزة على عجل فهو يتلهف على الاسراع بالرحيل من المدينة التى باعها للقراصنة ، بل ربما كان يرجو ان يستولى على ثمن خيانته قبل ان يفتضح امرها

وفجأة تذكر وينتر قول هنرى مورجان: ان بيرالتا متآمر خطر لايبيع مدينة من اجل حب فتاة !

واتضح له فى تلك اللحظة معنى هذه الكلمات فان بنيتا وثروتها هما ولاريب الجزاء الذى سيستولى عليه بيرالتا نظير خيانته لبناما ، ولاشك انه عقد هذه الصفقة ليستولى على ممتلكات الفتاة الواسعة التى لم يستطع ان يضع يده عليها بغير هذه الوسيلة

وقد عزز هذا الاعتقاد وجود بنيتا فى المنزل ، وقدوم بيرالتا اليه وهو يجهل أنه — اى وينتر — موجود به .. ولاشك ان الفتاة مازالت موجودة بالمنزل فى انتظار بيرالتا لكى يأخذها الى تابوجا لجهلها بخيانته ، وهذا هو سبب رغبة بيرالتا الشديدة فى الاسراع والتخلص من غريمه على عجل

وما كاد وينتر يصل إلى هذه النتيجة حتى املى عليه دهاؤه التوسل بالمداراة ومد اجل المبارزة، فالتزم خطة الدفاع ، الى ان تحين اللحظة المناسبة فينقض على غريمه ويزهق روحه

وكأنما ادرك بيرالتا نوايا القرصان اذ اجهم وجهه وبدا عليه الغضب وراح يخبط خبط عشواء وهو يثب تارة إلى الامام وطوراً الى الخلف دون ان يتمكن من ان ينال من غريمه منالا

وبدأ بيرالتا يلهث من فرط الاعياء ، ومالبث ان صاح بسخط :

— ياالهى ! قف ايها القرد العجوز ! انك لاتبارز ، ولكنك ترقص

فضحك وينتر ، واجاب : مهلا ولا تعجل يا ابن العم . فعما قليل تنتهى الجولة وما كاد يفرغ من عبارته حتى حانت لهاحدى الفرص .. فوثب الى الامام، ثم طعن بيرالتا فى كتفه طعنة خفيفة مزقت قميصه الحريرى واصابته بجرح بسيط

وقال : يسرنى ان تدخل المبارزة فى طورها الجدى ..

ولكنه كف عن الكلام فجأة ، اذ لاحظ فى عينى غريمه نظرة عجيبة فتساءل عن سبب هذه النظرة ، وما الذى يحدق فيه بيرالتا خلفه ؟

لم يستطع وينتر ان يجد الى تعليلها سبيلا ، ولكنه لاحظ ان دلائل الملل التى انعكست على وجه بيرالتا قد انحسرت عنه ، وانه عاد بدوره يتلاعب بالوقت ، وهو أمر لا يعنى غير شىء واحد ، وهو أن الوقت معناه الانتصار بالنسبة اليه ، ومن ثم قرر أن يحرمه من الاطالة واكتساب الوقت

انقلب من الدفاع الى الهجوم فى الحال ، وحمل عليه بشدة فارتطم السيفان ، ثم ابتعدا ، ثم ارتطما والتزم بيرالتا خطة الدفاع ، وعندئذ خطر لجيمس أن عدوه يتوقع تدخلا من شخص ما ، فقد لاحظ أنه يكثر من النظر خلفه ـ أى خلف جيمس ـ وفى كل مرة كانت عيناه تتألقان ببريق الأمل وابتسم بيرالتا ساخراً . فايقن وينتر أن ثم شخصاً واقف خلفه ، وان بيرالتا يتوقع مساعدة هذا الشخص .

وفى التو ، راح يثب جانباً ، حتى استطاع أن يرى فى أقصى الردهة زنجيين أحدهما عملاق ضخم مسلح بقضيب حديدى . والآخر بسيف مشرع كانا قد دخلا الى الردهة فى هدوء تام وتأهبا للانقضاض على جيمس من الخلف ، ولكن قوة ملاحظته أنقذته من موت محقق ، وأفسدت على غريميه خطتهما بالابتعاد عن منطقة الخطر

وعصف الغضب بين جنبى وينتر ، ولكنه لم يفقد الأمل ، فقد كان له فى الدرج مخرج مؤقت من المأزق ، ومن ثم قام بدورة كاملة ، ثم وثب فوق الدرج وضحك ساخراً ، فصاح بيرالتا بالزنجيين وهو يزأر :

— انقضا عليه أيها الاحمقان ! مزقه اربا ياسيزار !

ولم يتمهل بيرالتا حتى ينفذ تابعاه الأمر ، فوثب فى أثر جيمس ، ولكن هذا استطاع بمركزه الممتاز أن يهدد ابن عمه تهديدا فعالا

وزمجر بيرالتا غاضبا ، فقال وينتر ساخراً : لماذا لا تقترب يابن العم ؟

فرماه بيرالتا بنظرة يتطاير منها الشرر ، ثم اتقدت عيناه الشريرتان ببريق الظفر وأجاب : ليس من ضرورة لذلك كما سترى أيها الأحمق

والتفت الى أصغر الرجلين ، وأمره باحضار مسدس ، فيرول الرجل

من الردهة ، لتنفيذ الأمر وأدرك وينتر حرج مركزه ، فلو أنه بقى حيث هو لاستطاع العملاق أو زميله أن يناله بمسدسه بسهولة

اذن فلا سبيل الى استنقاذ نفسه منهم بغير اللواذ باحدى غرف الطابق العلوى ، والاستنجاد بالقراصنة من نافذتها ، وبذلك وحده يستطيع أن يتخلص من ورطته وفى لمح البصر ، استدار على عقبيه ،واندفع يرتقى الدرج وثباً ، وعندئذ دوى طلق نارى من الردهة ، ومرت الرصاصة بالقرب من اذنه . ولكنها لم تصبه وصاح بيرالتا وهو يهرع فى أثره : هلم ياسيزار ، يجب ألا يفلت اللعين من أيدينا !

وكان وينتر قد وصل الى باب غرفة النوم ، ووقف يفكر فى أى الغرف يدخل ، وفجأة فتح باب الغرفة ، وبرزت من ورائه السنيوريتا بنيتا

كانت معالم الفزع تتجلى على وجهها بوضوح وسمعها تصيح به :

— اسرع بالله عليك قبل ان . .

فاندفع الى داخل الغرفة ، وأغلق الباب ، وحينئذ سمع وقع أقدام بيرالتا وهو مقبل فى الممر

وضحك وينتر ، وتحول الى الفتاة ، وقد تألقت عيناه بنور السعادة !

الفصل الثالث عشر

صاحت الفتاة بصوت ينم عن الخوف : أواه ! لماذا جئت إلى هنا ؟

فأجاب على الفور : لأنى رأيت وجهك فى النافذة ، ولم يكن فى استطاعتى ان أتركك تتعرضين للاخطار التى تهدد سكان بناما جميعا اليوم

— اذن فقد كنت أنت الذى جئت الى المنزل منذ هنيهة . وتجولت فى الغرف . . ؟ فقاطعها بحماس : كنت أبحث عنك

— ياإلهى ! لو كنت أعرف ذلك ..؟! لكن وا أسفاه ! لقد سبق السيف العذل ، ان بيرالتا لن تمنعه حائل عن قتالك

— هذا إذا لم أقتله أنا أولا ، لكنى أريد . .

وأمسك فجأة ، فقد أخذ مطاردوه يدقون الباب بعنف ، بينما صاح بيرالتا بصوت أجش : افتح أيها الكلب ، وإلا حطمت الباب ، وقتلتك

كالحشرة ! لم يكن ثم ريب فى ان الرجل يستطيع ان ينفذ وعيده ، فنظر وينتر الى بنيتا وسألها هامساً :

— أما من سبيل آخر للخروج من هذه الغرفة ؟

— كلا مع الأسف ، حتى النوافذ تطل على ساحة . . ومع ذلك فإنها مسورة بالقضبان الحديدية فهز وينتر رأسه بأسى ، وهتف : اذن فقد قضى الامر ! فصاحت الفتاة بحزن : كنت أرمى الى انقاذك ، ولكن . . وصاح بيرالتا من الخارج : اسرع ياسيزار

وفى اللحظة التالية هوى الزنجى العملاق بقضيبه الحديدى فوق الباب ، فانتفضت بنيتا ، وهمست : أواه ! ماذا ستفعل ؟

— قفى جانباً ياسيدتى فصاحت فى جزع : وهل ستتقدم أنت ؟

— وماذا بوسعى أن أفعل غير ذلك ؟ ان الانسان يستطيع ان يطلق المسدس ، ولكنه يعجز عن توجيه الرصاصة ، وفى استطاعتى أن أتجنب المقذوف بالوثب فى أنحاء الغرفة ، وأما أنت فيجب ان تبتعدى عن منطقة الخطر

فهمست بحرارة : ولكنى لا أريد ان تموت . .

فضحك رغم هول الموقف . . وهتف : إذن فسأعيش برغم أنف بيرالتا وعمالقته . . ما كاد وينتر ينتهى من عبارته . . حتى تهشم أحد الواح باب الغرفة تحت تأثير ضربة هائلة من القضيب الحديدى . . وتطايرت قطعة من الخشب داخل الغرفة

وعلى أثر ذلك رأى جيمس ماسورة مسدس تدخل من الثقب الذى أحدثه القضيب فى الباب . . ومن ورائها يظهر وجه أبيض

وصاح بيرالتا من الخارج : والآن أيها الكلب ! سلم أو موتا تموت !

فهمس جيمس بلهجة آمرة : قفى بعيدا ياسنيوريتا . . اسرعى .. قفى فى أحد أركان الغرفة فشهقت الفتاة .. ولكنها اذعنت .. ولاذت بأقصى أركان الغرفة . . فلما اطمأن وينتر على سلامتها . . صاح بسخرية :

— أطلق الرصاص أيها النذل ! انى لن أسلم !

ودار فى الغرفة حتى وقف بالقرب من الباب . . ولكن بعيدا عن فوهة المسدس . . وبحيث لايستطيع بيرالتا رؤيته . .

وتهيأ لفتح الباب بغتة بمجرد إطلاق الرصاص من الخارج

وفي التو أطلق بيرالتا النار . . ففتح وينتر المزلاج .. ثم جذب الباب . . واندفع نحو عدوه . . وحسامه موجها نحو قلبه

ولكن بيرالتا كان على حذر . . فعلى الرغم من مباغتة جيمس له . . فانه وثب الى الخلف ثم قذف بالمسدس الفارغ في وجه وينتر

حاول جيمس ان يتفاداه . . ولكنه أخفق . . وأصابه المسدس في جبهته . . فترنح الى الوراء قليلا .. وعندئذ انقض عليه الزنجي العملاق ولطمه بالقضيب الحديدي فوق كتفه . . فهوى فوق الأرض . . والزنجي من فوقه . . وقد أطبق بيديه الغليظتين على عنقه حتى كاد يزهق روحه

وعبثا حاول وينتر أن يقاوم الزنجي . . وبدأت الدنيا تدور حوله . . والأرض تميد من تحته . . ثم سمع بنيتا وهي تصرخ صرخة مروعة .. ورآها وهي تضرب الزنجي بيديها الرقيقتين . . ثم اسودت الدنيا في عينيه . . وفقد الرشد . .

((*))

وعندما أفاق من اغمائه ، لم يجد نفسه في الدهليز . . وانما ملقى فوق الأرض في غرفة فاخرة الرياش .. وهو مقيد اليدين والقدمين

وعلى كثب منه جلس الزنجي سنزار . وهو يعبث بسيفه

والتقت عينا وينتر بعيني الزنجي المتألقتين زهوا .. ومفخرة .. وقال بالاسبانية الركيكة وهو يشير الى عنقه بحركة تدل على السخرية :

— لقد استطعت ان انتصر عليك أخيراً !

فلم يجب وينتر .. كان يدرك عقم تحدي مثل هذا الحيوان وهو عاجز كل العجز عن كل دفاع ، ثم انه كان يريد التفكير فيما هو أهم .. فقد أدهشه أن يبقى ابن عمه عليه حيا حتى تلك اللحظة بعد ان كان يتلهف على الفتك به وفجأة .. سمع وينتر صوت بنيتا صادراً من مكان ما خلفه وهي تقول بضراعة : كلا .. انك لن تقتله ! يجب أن تبقى عليه ..

— انه رقيق هارب ! قرصان سفاك ، ولص خطير تسلل الى منزلك ليسرق مالك .. فصاحت الفتاة بسخرية : كلا ..

انه ليس بلص .. انه دخل الى المنزل ليبحث عنى ، فقد رآنى وأنا أطل من النافذة ، وأدرك مدى الخطر الداهم الذى يتهددنى فاراد انقاذى من براثن القراصنة .. وما دامت تلك كانت نواياه من نحوى فانى لا أقبل بحال أن يذبح ذبح النعاج فى منزلى !

فقال بيرالتا بحدة : الا تريدين أن أقتله ؟ما أرق قلبك يابنيتا .. ولكن كيف السبيل الى انقاذ هذا الأحمق ؟ — سأطل من احدى النوافذ .. واستنجد بأول عابر سبيل .. فضحك بيرالتا ضحكة تنطوى على الغضب .. وصاح : أحقا ؟ ! لو انك استنجدت باصدقاء هذا القرصان البغيض لما أفلت من أيديهم . وفى تلك اللحظة دوت صرخة استغاثة من الخارج . كانت صرخة امرأة فى حالة ذعر شديد .

وابتسم بيرالتا ابتسامة شيطانية .. وقال :

— هل سمعت ؟ ! ان القراصنة الملاعين لايتورعون عن الفتك بكل امرأة لاتقدم لهم نفسها طائعة مختارة . فهل ترضين لنفسك مثل هذا المصير يا بنيتا .. هل بلغت بك الحماقة حتى تقدمى على الاستنجاد بهؤلاء الوحوش . هناك شىء .. من حقى أن أطالبك به وينبغى أن تفعليه ..

فقالت الفتاة بصوت متهدج : وما هو هذا الشىء ؟

فضحك بيرالتا .. وهتف : ألم نتفق على الزواج ! !

— انى أرفض ذلك طالما تصر على قتل الأسير الذى جاء لانقاذى !

— ستتزوجيننى اليوم .. فذلك هو السبيل الوحيد لانقاذك من المصير المؤلم الذى ينتظر جميع نساء بناما .. انى أستطيع ان أحميك وأدفع عنك كل أذى . وأستطيع أن أهبك الحرية والحياة الآمنة . ولن يجرأ أحد على أن يمد اليك يده بسوء طالما كنت تحملين اسمى . لكن ينبغى أن نبادر بالرحيل عن بناما لأن القراصنة يعملون فيها الآن السلب والنهب . والفتك .والسبى

فقاطعته الفتاة باصرار : لن أتزوجك — لامجال للاختيار يا سنيوريتا . فتلك إرادة أبيك . انك تعرفين انه مات مدافعا عن الشرف الاسبانى . ولكنه كتب اليك رسالة يبلغك فيها إرادته . وعهد بها إلى الأب فيليب ليوصلها اليك . بيد انى أخذتها منه . وهى معى الآن

فقاطعته بنيتا بلهفة : هاتها ! ثم اردفت بصوت متهدج :
— انه لم يأمرنى بالزواج منك . ولكنه اقترح هذا الزواج لأنه رآه خير الوسائل لحمايتى فى الظروف الحاضرة . فقاطعها بيرالتا على عجل :
— وقد اختارنى لأكون زوجك — نعم .. ان اسمك مذكور فى الرسالة . ولكن هل أنت واثق من انك تستطيع حمايتى من الاخطار التى تحدثت عنها ؟ — كل الثقة

فقالت الفتاة بلهجة غريبة : يخيل إلى انك أكثر من واثق . . وهذا أمر عجيب بالنسبة لرجل اسبانى فى مدينة يحتلها القراصنة .

فصاح وينتر بأعلى صوته : لقد حصل على الامان من الاميرال هنرى مورجان أثناء مقابلته فى بورت رويال .. انه جزء من الثمن الذى سيتقاضاه

جزاء خيانته لبناما . فصاح بيرالتا بصوت كالرعد : صه أيها الكلب !

— انك وضياعك جزء من هذا الجزاء يا ...

وقبل أن يتمكن وينتر من اتمام عبارته رأى بيرالتا وهو يندفع نحوه كالمجنون ، ثم لطمه فوق فمه بجمع يده ، وصاح :

— أيها الخنزير الكاذب ! اذهب به من هنا ياسنزار !

فتقدم العملاق من وينتر .. وأمسك به من قدميه .. ثم جذبه بعنف وقسوة إلى خارج الغرفة غير عابىء بارتطام رأسه بالارض . . فصاحت به بنيتا مغضبة .. ثم أقبلت مهرولة .. وواجهت بيرالتا وشرر الغضب يتطاير من عينيها .. ثم استدارت على عقبيها وأخذت تضرب الزنجي بقبضتيها فوق وجهه .. وهي تقول : أيها التعس ! أهكذا تعامل سادتك ؟

لم يعبأ الزنجي بلطماتها .. ولكنه أخذ من جراء الفتاة وكبريائها . . فترك قدمي وينتر تسقطان فوق الارض . وتراجع إلى الخلف مطرق الرأس

وضحك بيرالتا ضحكة جوفاء ساخرة .. وصاح : يخيل إلى انى سأتزوج بطلة من أبطال المصارعة ياسنيوريتا ! كم أخاف على يديك البضتين ان تدميهما بشرة الزنجي ! ! ثم اردف بلهجة صارمة :

— احمل هذا الكلب ياسنزار . . واذهب به . . قفي جانبا يا بنيتا !

— لن أفعل حتى اعرف ماذا ستصنع به

— اذن فسأرغمك على طاعتي بالقوة

وتقدم منها . . ثم جذبها من يديها بعنف . . فصاحت : جا كو ! !

وبينما كان العملاق ينحني فوق وينتر . . رأى هذا قرد بنيتا وهو مقبل على عجل . . ثم وثب فوق ذراع سيدته . . ولم يستطع وينتر ان يرى ما حدث بعد ذلك . . ولكنه عرف النتيجة من صيحة بيرالتا الحادة ثم وهو يقول بحنق وألم : ياللجحيم : لقد عض الحيوان يدي !

— وسيعيد الكرة اذا لمستني ياسنيور

— ولكني سأذبحه . . الى بحسام . — اهرب يا جا كو

وكان الزنجي قد حمل وينتر بين ذراعيه في تلك الاثناء . . فاستطاع الشاب أن يرى القرد وهو يتسلق إحدى الستائر . . ويستقر فوقها . . .

وبيرالتا يرغى ويزبد . .

ومضي سيزار بجيمس الى الغرفة المجاورة . . والقاه فوق الأرض . . فارتطم رأسه بها ودارت به الغرفة . ولكنه كظم غيظه.وسكت على مضض

وسمع وينتر باب غرفة النوم وهو يفتح فجأة . ثم رأى القرد يثب الى الخارج . ثم يهبط الدرج بسرعة عظيمة . وبعد هنيهة اندفع بيرالتا فى أثره فلما لم يستطع اللحاق بالقرد قذف بحسامه فوق الارض مغضبا . وعاد إلى غرفة النوم حيث كانت بنيتا فى انتظاره . وأغلق الباب خلفه

ومضت فترة طويلة خالها وينتر دهراً . . ثم فتح باب غرفة النوم مرة أخرى .. وخرج منه بيرالتا . ونظر الى جيمس بعينين تتألقان ببريق الظفر ولكنه لم يتحدث اليه . . وإنما أشار إلى سيزار ليقترب . . وانفرد به فى أقصى أركان الغرفة .. وتحدث اليه بصوت خافت . ثم عاد إلى غرفة النوم وأغلق الباب خلفه

وبعد قليل .. التقط سيزار الحسام الذى ألقاه سيده. واقترب من وينتر. وداعبه قليلا بذبابه . . وهدده بالقتل ان هو رفع صوته . . ثم اخرج حبلا حريريا رفيعا من جيبه واوثقه من عند ركبتيه . . ومضى إلى باب الغرفة فأغلقه وسضت الدقائق ثقالا . . ثم سمع وينتر صوت باب يفتح . . اعقبه وقع اقدام فى الدهليز . . ثم صوت بنيتا وهى تقول :

— لقد وعدتنى بشرفك يابيرالتا ؟

— نعم . . واقسم لك الا احنث فيه .. لن أمسه بأذى . . بل سأتركه ليعيش ويطاردنى . . وانى واثق أنه سيشنق فى احد الايام

— هل ستطلق سراحه ؟ — كلا . . اننا لم نتفق على ذلك فلو انى اطلقت سراحه الآن لاستنجد ببعض الاشرار من رفاقه وحالوا دون هربنا . . ولكنى سأتركه هنا موثقا . . حتى يأتى رفاقه وينقذوه . .

فتمتمت بنيتا ببضع كلمات لم يسمعها وينتر . واعقب ذلك قول بيرالتا :

— يوجد فى الغرفة المقابلة ثوب راهبة . . وهو الثوب الوحيد الذى تستطيع المرأة ان تحتمى به اليوم فى بناما . . فاسرعى وارتديه . . لأن الوقت ضيق . . وسأتحدث إلى هذا الرقيق الهارب أثناء غيبتك .

وسمع وينتر وقع اقدام خفيفة تبتعد . . وأخرى ثقيلة تقترب من الغرفة ثم فتح الباب . . ودخل بيرالتا إلى الغرفة . . واقترب من جيمس .. ونظر اليه ساخراً . . وفتح فمه ليتكلم . ولكنه عاد فاغلقه دون أن ينطق بحرف واحد . . ثم ركع بجانبه . . واخرج منديلا من جيبه . . وارغمه على أن يفتح فمه ثم كممه باحكام . . واشار إلى سيزار بمغادرة الغرفة .

ونهض بيرالتا واقفا . . وضحك . . ثم قال : انك رجل سريع الاقناع يا ابن العم . . ومن الخطر ان أدعك تتحدث الى بنيتا مرة أخرى ! ! . . ولكني سأحدثك بما عندي .. بعد ان أمنت عضب لسانك .. سأقترن الليلة ببنيتا . . ولكنها اشترطت ألا أمسك بسوء . . وأرغمتني على ان اقسم . . ولما كنت رجلا لا يحنث في حلف فانني سأتركك هنا موثق اليدين والقدمين حتى يأتي اصدقاؤك وينقذوك .. على انه ينبغي ان يعجلوا بانقاذك .. قبل ان تمتد ألسنة النار التي أشعلها رفاقك القراصنة في المنازل المجاورة الى هـذا المنزل . . انك تفهمني بغير شك .. أليس كذلك . ؟

وضحك ضحكة شيطانية . . ثم أردف :

— لقد وعدت بألا أقتلك . . ولكنك مع ذلك سوف تموت . وتلقى تبعة موتك على رفاقك ! ! سأظفر أنا ببنيتا . . بينما تكون انت في طريقك الى جهنم . . وعلى أثر هذه الكلمات غادر بيرالتا الغرفة وصفق الباب خلفه . . وبعد بضع دقائق سمع وينتر وقع أقدام فوق الدرج . . وعبر الردهة السفلى .. ثم فتح باب المنزل الخارجي .. وأغلق على الأثر . . وساد الصمت

الفصل الرابع عشر

سمع وينتر وقع أقدام عارية تسير في الدهليز .. ثم فتح باب الغرفة .. ودخل سيزار وجعل يشم الهواء بحركة ذات مغزى . . وقال :

— هل شممت ؟ شمـا قريب تشوى كالخنزير ! !

وضحك ضحكة الشامت .. ثم غادر الغرفة .. دون ان يغلق الباب خلفه وللمرة الثانيـة سمع وينتر صوت الباب الخارجي وهو يفتح ويغلق ..

فأدرك أنه أصبح وحيداً فى الدار .. عاجزاً لاحول له ولا قوة

وراح يتساءل : هل أشعل سيزار النار فى المنزل بأمر سيده ؟! ان كلمات الزنجى تشير الى ذلك بوضوح ..

ولم تطل حيرة جيمس .. اذ ما لبث الدخان ان بدأ يتسرب الى الغرفة .. ويتجمع فى سقفها وأعقبت ذلك قرقعة كتلك التى تصدر عن الخشب وهو يحترق .. فلم تساوره الريبة فى أن النار قد اندلعت .. ولا تلبث ان تمتد الى الغرفة التى سجنه فيها عدوه اللدود .. فتأتى عليها وعليه معاً

ولم يتمالك أن انتفض . حين تبين عجزه عن دفع الخطر الماحق الذى يتهدده . وأحس بذهول عجيب يستولى عليه . وكانت رائحة الدخان قد بدأت تؤذى صدره . وعينيه . فاغمضهما واستسلم للقدر .

وانه لكذلك غارق فيما يشبه الغيبوبة . خيل اليه أن الباب الخارجى قد فتح وان أقداما تطأ الردهة . ثم لم يلبث أن استوثق أنه حقيقة لاخيال . فقد سمع بوضوح أصواتاً تتكلم بالاسبانية :

— اننا لانستطيع البقاء هنا . فان المنزل يحترق !

— وما العمل . والخروج إلى الشارع معناه ذبحنا . إن هؤلاء الشياطين لاينورعون عن ذبح أمهاتهم فى سبيل قطعة من النقود .

— يا إلهى ! هذا صحيح . اننا بين الشياطين والبحر .. لكن ربما كان هناك سبيل للخلاص . أظن أن للمنزل بابا خلفياً يفتح على باب يؤدى الى البحر . ولكن أرى أولا أن نفتش المنزل خشية أن يكون به من فى حاجة إلى المساعدة . — يجب أن نبادر يا أختاه . فان النار تمتد بسرعة . كان وينتر قد استطاع أن يتخلص من الكمامة فى تلك الآونة . فصاح فى طلب النجدة . وهو يعلم أن فى ذلك مجازفة خطيرة . لان الشخصين اللذين سمعهما يتحدثان إسبانيا الجنسية .. أى عدوان . ويسرهما كثيراً أن ينكلا بقرصان شرير . بيد أنه كان يؤمل أن يوفق معهما فى عقد صفقة . فيطلقا سراحه مقابل تعهده بحمايتهما من القراصنة . وما كاد ينادى فى طلب المعونة حتى سمع صوتاً يصيح :

— يا إلهى ! يوجد هنا من يستغيث يا أختاه !

— ان لهجته تدل على انه أحد هؤلاء القراصنة الملاعين . فان كان كذلك . فلا بد من ذبحه انتقاما لبناما . وضحكت المتكلمة ضحكة نسائية رقيقة . وأعقب ذلك وقع أقدام ترتقي الدرج . وصوت يقول صاحبه بالانجليزية الفصحى : أيها الصديق . أين أنت ؟ فتلاعبت على شفتي جيمس ابتسامة خفيفة عندما سمع المرأة التي تزمع قتله وهي تناديه بلفظة (صديق) . ثم أجاب : هنا ، وأسرع بالله عليك والا احترقت

— يا إلهي ! إن الصوت مألوف لدى ! كلا . لا يمكن أن يكون . .

وما هي الا هنيهة حتى دلف الى الغرفة رجل وامرأة . وما كاد بصر جيمس يقع على المرأة حتى هتفت مأخوذا : سنيورا تريزا

فصاحت المرأة : يا للسماء ! أرأيت الى المعجزة ياجوان ! انني لم أكن أتوقع أن أرى أحد الاثنين اللذين يستحقان تقديرى وشكرى فى هذا المأزق !

وراحت تردد الطرف بين رفيقها ووينتر . فصاح الاسبانى : دعى الكلب يذهب طعمة للنار فهزت المرأة رأسها سلبا . وتحولت الى جيمس وسألته : كيف وقعت فى هذه الورطة ؟ فقاطعها أخوها بحدة : وما جدوى السؤال ياتريزا ؟ هذا منزل احد ثراة المدينة . والرجل كما ترين قرصان . . لص . . فما يكون الدافع الى اقتحامه الدار غير طمعه فى الحصول على المال أو الجواهر ؟

فقال وينتر بهدوء : انك مخطىء ياسيدى ! لقد جئت إلى هذا المنزل لأمد يد المساعدة إلى سيدة كانت تحدق بها الأخطار .

فضحكت تريزا . . وهتفت : آه ! لاريب أنها كانت بنيتا ! ! إنك مازلت تلعب دور الفارس المغوار ياسنيور وينتر . ولكن يبدو أنك كنت سيء الحظ ، فاصطدمت بفارس آخر — نعم . . التقيت برجل كان يجب أن أقتله لولا قلقى من نحو السيدة . لقد كدت أفتك به حين أصابتنى لطمة قاسية من قضيب كان يحمله زنجى تسلل من خلفى . — وهل شدوا وثاقك وتركوك لتحترق ؟ و . . . .

فقاطعها أخوها : لقد أحسنوا صنعا . دعى الكلب يحترق . فهذا هو الجزاء الذى يستحقه كل وغد شرير . هلمى بنا ياتريزا ، والا احترقنا معه .

ولكن المرأة لم تتأثر بلهجة أخيها . ومضت تسأل وينتر : هل رأيت بنيتا ؟

— نعم . ولكن ابن عمى لم يدع لى وقتا للتحدث اليها .

— هل بيرالتا ابن عمك ؟ — نعم . وهو نذل شرير . وخائن

فضحكت المرأة . وصاحت : أصبت ! وهنا تدخل أخوها فى الحديث . وحاول أن يرغمها على الانصراف . ولكنها لم تعبأ به . وسألت وينتر :

— وهل علمت بنيتا أن بيرالتا سيتركك هنا موثقاً كى تحترق ؟ — كلا .. لقد ساومته من أجلى . ولكن بيرالتا كسر الاتفاق سراً . فترك خادمه الزنجى فى المنزل . لكى يشعل النار فيه بعد رحيلهما . — هل إذا أطلقت سراحك ، تشى ببيرالتا ، وتنقذ بنيتا من بين مخالبه ؟ وقبل أن يتمكن وينتر من الاجابة ضحكت المرأة . واستطردت : اننى أكره هذا الرجل . ولذا فانك لن تحترق ياصديقى . سأطلق سراحك لأوفى لك الدين الذى فى عنقى . اعطنى حسامك ياجوان . فحاول أخوها الرفض . ولكنه اضطر فى النهاية إلى الاذعان . بعد أن أخذت النار تلتهم الغرفة المجاورة . وقطعت تريزا وثاق جيمس .. وعاونته على النهوض . ولما هبطا إلى الردهة . سألت المرأة جيمس : ماذا ستفعل الآن ؟

— سأبحث عن بيرالتا وأقتله ! فضحكت . وأردفت : وتتزوج بنيتا ؟ أتمنى لك التوفيق ياصديقى . ! الوداع ! سننصرف من الباب الخلفى . وأما أنت فاخرج من الباب العمومى ! ورأى جيمس حسامه ملقى فى الردهة . فالتقطه . وكانت تريزا تهم بمغادرة المنزل . ولكنها توقفت ، وتحولت إلى جيمس . وسألته بصوت خافت :

— اخبرنى ياسنيور . كيف حال السنيور رينجولد . هل هو بخير ؟

— كان كذلك عندما جئت إلى هنا فهمست بارتياح . وقد تألقت عيناها بنور السعادة : شكراً للسماء ! ثم أسرعت بالانصراف .

ولم يتلكأ جيمس أكثر من ذلك . وهبط إلى الطريق . كانت حدة القتال بين القراصنة وجنود المدينة قد خفت . وأدرك وينتر أن أصدقاءه قد سيطروا تماما عليها برغم المناوشات التى كانت لاتزال ناشبة بين بعض القرصان والجنود .

وأجال جيمس بصره فى الشارع . فرأى عدة منازل تحترق . فهز رأسه فى أسى . وأدرك ان النار ستأتى على المدينة ما لم يسارع رفاقه باخمادها فورا ..

ولكن احتراق بناما كلها لم يكن ليفيده فى شئ .. بقدر ما كان يهمه ان يعرف مكان بنيتا دى ريفاديو كان موقنا بأنها غادرت المدينة مع ابن عمه .. كما غادرها الكثيرون من سكانها .. وراح يتساءل أين عساهما ذهبا ؟

وبينما هو يتساءل . . اذ حانت منه التفاتة نحو البحر .. فرأى الجزر البعيدة تزين صفحة الماء .. وعندئذ جاءه الرد على سؤاله : لقد ذهبا الى تابوجا !

غمغم : لاريب انهما ذهبا اليها حيث توجد ضيعة بنيتا .. وليس من خطر عاجل عليها من مهاجمة القراصنة للجزيرة ! !

وما كاد يصل الى هذه النتيجة حتى ولى وجهه شطر البحر

الفصل الرابع عشر

عند ما وصل جيمس وينتر الى الشاطئ . . رأى عدداً كبيراً من القوارب ، وسفينتين كبيرتين تمخران عباب الماء نحو الجزر النائية . . فلم تساوره الريبة في ان ركابهما وركاب القوارب هاربون من وجه القراصنة . . بكنوزهم وتحفهم .

وبين هؤلاء الركاب كانت بنيتادى ريفاديو . . وابن عمه أنطونيودى بيرالتا

واذن فلابد من تعقبهم . . لكن كيف ؟ !

ألقى بصره على طول الساحل . . فلم يجد قارباً واحداً . . مشدوداً اليه . . فقد استقل الهاربون جميع القوارب . . ولاذوا بالفرار .

وقطب حاجبيه في استياء وغضب . . وبدأ يسير فوق الشاطئ وهو يرجو ان يسعده الحظ فيعثر على قارب . وما كاد يتقدم بضع ياردات . . حتى عثر على جثة قرصان ميت . . لعله كان يطارد أحد الاسبانيين الهاربين طمعاً فيما معه من مال . . فأطلق عليه الهارب النار . . وأرداه قتيلا .

ونظر جيمس الى القتيل نظرة عابرة . . وهم باستئناف سيره . . ولكنه عاد فتوقف . . فقد خطر له خاطر جديد .

مال فوق الجثة . . وانتزع منطقة القرصان ، وكان بها مسدسان وكيسة من البارود ، وتزود بها . . فليس من الحكمة ان يقدم على المغامرة التى هو بسبيلها وهو أعزل . واستأنف رحلته . . وهم يحشو المسدسين . . وما ان دس يده في الكيس الذى يوضع بداخله البارود حتى عثر بشيء يختلف تماما عن شكل الرصاص . . فأخرجه . . فاذا به خاتم ثمين من الذهب ، وبه حجر من اللؤلؤ النادر .

وكان الخاتم ملطخاً بالدم . . فأيقن جيمس ان القرصان انتزعه من يد صاحبه قسراً فأسال دمه . . وتلطخ الخاتم .

وأزال وينتر الدم من فوق الخاتم بكم قميصه . . ثم وضعه في جيبه ، ومضى في طريقه وهو ممتشق حسامه .

وكان قد بلغ نهاية المرفأ في تلك اللحظة دون أن يرى قاربا واحدا ، فبدأ اليأس يتسرب الى نفسه ، وأيقن أنه ان لم يعثر على قارب ، فلن يتسنى له اللحاق ببيرالتا . والحيلولة بينه وبين تنفيذ مأربه والزواج من بنيتا

وراح يدير الطرف حوله في قنوط . فوقع بصره على منزلين صغيرين مشيدين على حافة الماء تقريبا . . فسار اليهما تتنازعه عوامل من اليأس والرجاء

وبعد عشر دقائق ، بلغ المنزل الأول ، فالفاه قاعا صفصفا ، فبدأ أمله يتبخر . .

ولكنه انطلق إلى المنزل الثانى ، وما كاد يقترب منه حتى سمع صوت طرق ، فوثب قلبه بين ضلوعه ، وعاوده الامل ، فجد فى سيره حتى بلغ مؤخرة المنزل . وعندئذ رأى كهلا منهمكا فى اصلاح أحد القوارب ، وقد وقفت امرأة وغلام يراقبانه . بينما كدست على مقربة منهم لفافات كبيرة

كاد وينتر يصيح من فرط الطرب ، فتقدم من الاسرة فى هدوء . وكان الصبى أول من رآه . فصرخ مذعورا . ودفن وجهه بين ركبتى أمه التى صاحت بدورها فى قنوط : ياللسماء ..! لقد هلكنا !

وحدق الكهل فى وجه وينتر مصعوقا ، ولكن يأسه مالبث أن تغلب على دهشته فرفع مطرقته فوق رأسه ، وتقدم من وينتر وفى عينيه نظرة تصميم ، فاخرج هذا أحد المسدسين من منطقته وقال متلطفاً : لاتنزعج ياصديق فاننى لا أريد بك سوءاً

وما أن رأى الكهل المسدس فى يد جيمس حتى اسقط فى يده ، فثبت فى مكانه مشدوها واستطرد جيمس : أراك تصلح الزورق ، استعدادا للابحار اليس كذلك ؟ انك ولاريب ذاهب إلى تابوجا

فأجابه الرجل بقنوط : كلا .. سنذهب الى فلامنكو

— ولكنك ستذهب الى تابوجا أولا . كم عدد الأشخاص الذين يمكن أن يحملهم القارب ؟ — خمسة . — أما نحن فاربعة ، هلم استأنف اصلاح القارب . حتى نتمكن من انزاله الى الماء قبل أن يأتى من يغتصبه منا

فصاح الكهل فى غضب : ياللشيطان ! اننى لن أسمح لاحد باغتصاب قاربى هذا . لقد ابتاع رجل وامرأة قاربى الجديد ونقدانى ضعف ثمنه — لكن مافائدة المال اذا كان المرء مهددا بالموت . .

— أصبت . . لكن اسرع فان الوقت ضيق . والشمس توشك على المغيب

فعاد الرجل الى العمل متذمراً .. على حين وزع جيمس اهتمامه بين مراقبته ومراقبة الشاطىء . وبعد ساعة ، فرغ الكهل من اصلاح القارب . ووقف يجفف العرق الذى يقطر من جبهته فصاح وينتر : هلم يارجل قبل أن تغرب الشمس

وأجابه الكهل بتحد : سنذهب الى فلامنكو

— عن طريق تابوجا ياصديق — كلا !

فرفع وينتر مسدسه ، وصوبه الى صدر الرجل . وقال :

— بل سنذهب الى تابوجا أولا . . خير لك أن تحقق رغبتى والا اضطررت الى قتلك . . هلم . . وسأنقدك ضعف الأجر . .

فتألقت عينا الكهل ببريق الجشع . . وبدأ يدفع الزورق نحو اليم . . وعاونه

وينتر .. ولكنهما ما كادا يقطعان ثلث المسافة .. حتى سمعا زوجة الكهل ، وهى تصيح مستنجدة .. فأدار وينتر رأسه ليرى ماذا دهاها .. وعندئذ رأى أربعة رجال يركضون نحو الشاطىء...

كانت تبدو عليهم دلائل النعمة .. فأدرك وينتر أنهم من ثراة المدينة الهاربين .. وكانوا جميعاً يتسلحون بالسيوف .. ولكن أحداً منهم لم يكن يحمل مسدساً .

فاستحث جيمس الكهل على انزال القارب الى الماء .. فلما تم له ما أراد .. أمر الصياد بأن يذهب ليأتى بأمتعته .. ثم تحول لمواجهة القادمين وفى كلتا يديه مسدس

وصاح : قفوا أيها السادة ! فتوقف أربعتهم .. وصاح أحدهم بغضب :

— اننا نريد القارب .. فتنح عنه .. وإلا ..

فضحك وينتر .. وقال : حذار أن يتقدم أحدكم خطوة واحدة وإلا أطلقت النار

واستخف أحدهم بتهديده .. فتقدم نحوه وهو يهدده بحسامه .. فضغط وينتر زناد أحد المسدسين .. فانطلقت رصاصة .. وسقط الرجل يتضرج فى دمه .

صاح رفاقه مغضبين . ولكن وينتر لم يعبأ بهم . وهتف :

— هذا تحذير أيها السادة ! خير لكم أن تبحثوا عن قارب آخر !

فراح الثلاثة يتبادلون النظر فى سخط .. ويتمتمون بكلام غير مفهوم

وكان الكهل قد عاد بلفافاته ووضعها فى القارب .. ثم عاون زوجته ، وابنه على الصعود اليه .. وعندئذ وثب جيمس فى أثرهم .. وأمر الكهل بالتجذيف .. وهو يوزع اهتمامه بين الاسبانيين الثلاثة .. وبين الكهل .. حتى ابتعد القارب عن الساحل بمسافة كبيرة

ولم تكد تنقضى بضع دقائق حتى أخذ الماء يتسرب إلى القارب . فأمر الكهل

زوجته بنزحه . . وبعد قليل انضم اليها جيمس . . وعاونها على نزح الماء من بطن القارب . وغربت الشمس وبدأ الظلام يخيم على السكون .

وبعد ساعة وصل القارب إلى تابوجا . . واستطاع جيمس أن يتبين فى عينى الرجل بريق الغدر والخيانة . . فوثب إلى الشاطىء . . ووقف أمامه . . وقال متوعدا :

— حذار أن تصيح فى طلب النجدة . . هلم جذف إلى أقصى نقطة فى المرفأ !

فصدع الكهل بالأمر . . وظل جيمس يسير بمحاذاته . . إلى أن وصل القارب إلى أقصى بقعة فى الميناء . . ثم قذف للرجل ببضع قطع من النقود . . وسار مبتعدا عن الشاطىء . . ولكنه لم يكد يقطع مائتى ياردة حتى سمع صوت الكهل وهو يستغيث ويحذر أهل الجزيرة من القرصان . . وانطلق جيمس كالسهم وركض بكل قوته فى أول طريق معتم قابله لينجو من المطاردين

الفصل الخامس عشر

أدار جيمس وينتر رأسه ونظر خلفه ، فرأى جمعا من الناس يركضون فى أثره . . وهم يصيحون وينادون . . وكان كلما أمعن فى العدو ازداد عدد مطارديه ممن ينضم اليهم من أهل الجزيرة . ولما كان جيمس متعبا على أثر حوادث النهار فقد أدرك انه لن يستطيع الافلات من قبضتهم إذا طال أمد المطاردة ، خصوصا وهو يجهل طرقات الجزيرة ودروبها جهلا تاماً .

ومر فى أثناء عدوه بمنزلين مفتوحين . . ولكنه لم يتوقف عندهما . . بيد انه ايقن فى النهاية انه من الخطر أن يركض اكثر مما فعل خشية ان يبرز له بعض سكان الجزيرة الذين اخرجهم الصياح من دورهم من أحد الطرقات الجانبية فيسدوا السبيل فى وجهه . ويفتكوا به . ومر فى تلك الاثناء بباب مفتوح . . فتسلل خلفه . . وأغلقه بهدوء . ثم وقف ينتظر وهو ممتشق حسامه فى يد وشاهر مسدسا محشوا فى اليد الأخرى

وسمع وقع اقدام المطاردين وهم يمرون من امام الباب ، فلم يتمالك من الضحك . . ولكنه مالبث ان جمد فى مكانه وقد انقبض صدره . . اذ سمع بابا يفتح فى المنزل . . ثم رأى كهلا مقبلا نحوه ، وهو يحمل شمعدانا . .

وما كاد رب الدار يرى جيمس حتى اجفل . . وثبت فى مكانه . . واخذ يطيل النظر الى وجه وينتر . . ثم صاح : ماذا تصنع هنا ياسنيور ؟

كانت لهجة الكهل رقيقة هادئة فاطمأن جيمس نوعا . واجاب بالاسبانية الفصحى :

— انى اختبىء من الرعاع الذين يريدون الفتك بى !

— ارجو المعذرة ياسنيور . . انى لااسمعك كان الكهل ضعيف السمع . .

واعاد وينتر قوله بصوت مرتفع . . فبدا الاهتمام على وجه الكهل . . وهتف :

— رعاع ؟ ! هذه ظاهرة جديدة فى تابوجا . . لكن لماذا يطاردونك ؟ انك مجرد من سمات اللصوص ! فأجاب جيمس بحرارة :

— كلا ياسيدى . . انهم يطاردوننى من اجل سيدة

فضحك الكهل ضحكة مقتضبة هادئة . . وقال : آه . . قصة غرام !

— لك ان تسميها كذلك ياسنيور . . لقد ازمعوا قرانها من نذل . .

— وانت لم توافق على ذلك ؟ — ولا السيدة نفسها

— وهل أنت حبيبها ؟ فأجاب جيمس بحماس لم يدع للكهل مجالا للريبة فى صدقة : حتى الموت فابتسم الكهل . وقال : اكبر الظن انها جميلة ؟

— بل اجمل امرأة فى الدنيا — اذن تعال معى ياسنيور . . انى ارحب بك ، واعدك بحمايتى . . فانى لااقبل ان يموت رجل يحب امرأة جميلة على عتبة منزلى

فتبعه وينتر الى غرفة فاخرة الرياش . . تتوسطها مائدة من البلوط السميك . . صفت فوقها صحفات الطعام . .

وادار وينتر بصره فى ارجاء الغرفة . . فرأى صورة كبيرة لامرأة فى ربيع العمر بارعة الجمال معلقة فوق احد الجدران . . وعند اسفلها منضدة ثمينة عليها اوانى للزهور وسبعة شمعدانات مضاءة

وتتبع الكهل نظرات جيمس . . وقال بصوت متهدج : هل اعجبتك هذه الصورة ؟ لقد كانت صاحبتها اجمل سيدة فى العالم بالنسبة الى

فتأثر جيمس بلهجة الرجل وسأله برفق : أكانت زوجك ياسنيور ؟

— نعم وقد ماتت منذ اربعين عاما ! من عجب انك جئت تنشد المخبأ فى منزلى بالذات . . لأننى ايضا كنت محبا اضطر الى انتزاع السعادة من بين يدى رجل آخر .

ونظر الى الصورة بخشوع . ثم استطرد : كانوا سيزفونها لرجل عظيم فى سيفيل ولكنها آثرت الفرار معى الى بناما . .

وكف الكهل عن الكلام كأنما آلمته ذكريات الماضى ثم قال مغيرا مجرى الحديث :

— لقد انصرف خدمى مبكرين ، بعد أن سمعوا ان القراصنة الذين غزوا بورت بللو منذ عام استولوا اليوم على بناما . . هل لك فى كأس من الشراب ياسنيور . .

فشكره جيمس على كرمه . . وشرب كأس النبيذ . . فأحس بالنشاط يدب فى جسده من جديد وعاد رب الدار يسأله : أظنك لاتصدق قصة غزو القراصنة لبناما — يؤسفنى ان أقول انها حقيقة ياسنيور . . وقد هرب كثير من أهلها الى تابوجا فغمغم الكهل ببضع كلمات غير مفهومة ثم قال :

— أرجو ان يتركونا فى أمان فى تابوجا . .   — أرجو ذلك ياسيدى
وأصاخ وينتر السمع . . ولـكنه لم يسمع أصواتا ولا صياحا فى الشارع . . وعندئذ قال : ينبغى ان أنصرف ياسنيور . . يجب ان أسرع لمساعدة السيدة
فأومأ الـكهل برأسه . . وقال : لـكم أود الوقوف على نتيجة مغامرتك !
— سأفعل ذلك اذا كتبت لى الحياة . . ما اسمك ياسنيور ؟
— انى معروف هنا وفى بناما باسم الدون استودللو
— سأذكر هذا الاسم ماحييت ياسنيور
وودع جيمس مضيفه . . ثم تسلل الى الخارج . . وأغلق باب الدار خلفه . . وأخذ حسامه ورسم به علامة معينة فوق الباب . . لـكى يتمكن من معرفته فيما بعد . .
وبدأ رحلته مبتعداً عن الميناء . . ولـكنه كان يضرب على غير هدى ، فقد كان غريبا عن الجزيرة . . وكل أهلها يطلبونه . . لأنه أحد رجال هنرى مورجان ملك القراصنة وملقى الرعب فى القلوب . .   ومع ذلك فقـد كان يتلهف بدوره على الذهاب الى ضيعة ريفاديو . . ولم يكن ذلك بالأمر الهين فانه ليخشى ان هو سأل عابر سبيل عن موقع الضيعة المشهورة . . ان يستهدف لظنونه . . وربما تمخضت هذه الظنون عن اكتشاف أمره   وانتهى الطريق الذى كان يسير فيه الى طريق آخر تقوم على جانبيه أشجار النخيل . . ومن خلفها بضعـة منازل متفرقة كان الضوء ينبعث من خلال نوافذ بعضها . .   ولم يكـد جيمس يقطع شوطا فى هـذا الطريق . . حتى سمع وقع أقدام شخص مقبل من الناحية الأخرى . . فوجف قلبه . . وشدد الضغط على قبضة حسامه . .   وفجأة . . تحرك بسرعة حتى اقترب من ضوء كان ينبعث من نافذة أحد المنازل . . ثم وقف ينتظر وصول القادم
وبعد هنيهة . . برز القادم من الظلام . . وانعكس عليه الضوء . . فاذا به زنجية بدينة تحمل طفلا . . فذهب عنه الروع فى الحال . . وفارقه قلقه
واستوقفها وهى تمر به وسألها بالاسبانية الفصحى :
— هل تعرفين أين يمكننى ان أعثر على السنيوريتا بنيتا دى ريفاديو ؟
فارشدته الزنجية كيف يسلك الطريق الى ضيعة بنيتا . فشكرها . وانصرف لايلوى على شىء .   كان عليه أن يمضى فى طريقه حتى يصل الى تل مرتفع ، فيعبره . ويسير نحو ميل . وينعطف يمينا ، فيجد نفسه على أبواب الضيعة

الفصل السادس عشر

وصل جيمس الى التل . فالفى نفسه وسط حقول مخضرة بعيداً عن العمران . حيث

السكون والهدوء . وأشعة القمر تسبح فى الفضاء وتنعكس على سطح الارض فتكسبه لونا زاهيا . وما كاد ينحدر من التل . ويسير بضع عشرات من الياردات فى طريق تحف به من الجانبين أشجار باسقة متشابكة الاغصان تكاد تحجب أشعة القمر ، حتى رأى أمامه ، وعلى كثب منه ، رجلا يسير فى نفس اتجاهه .

وكأنما تعثر عابر السبيل فجأة . وكاد يسقط فى احدى الحفر . إذ سمعه جيمس يصيح مغضبا : ياللسماء ! ان المرء يكاد يدق عنقه فى ذلك الطريق المعتم !

فأسرع جيمس فى أثره . واتفق أن مر عابر السبيل ببقعة معرضة لضوء القمر . فاستطاع أن يميزه . فاذا هو رجل بدين . يسير على مهل . ويرتدى معطفاً من معاطف الكهنة . وركن قلب جيمس . وأسرع باللحاق بالكاهن ، فسمع هذا وقع أقدامه . فتوقف فى سيره حتى دنا منه .

وابتدره وينتر بقوله : طاب مساؤك ياأبت ! ان الليل ظريف .

— هذا صحيح يابنى . ولكن الطريق وعر فقال وينتر مؤمنا : أصبت ياأبت

فأردف الكاهن متذمرا : لقد كدت أسقط ثلاث مرات . . وفى المرة الأولى أصيبت ساقى بجرح من غصن شجرة شائكة ، فهل يكفى جنيهان تعويضا عن هذه الآلام؟

فضحك جيمس مغضباً : جنيهان ؟ ! ان عشرة جنيهات ليست بالتعويض الكافى

فقهقه الكاهن وقال بجشع لا يلائم مركزه الدينى : اذن فسأطالب بضعف الأجر . ان الرجل الذى يدعو كاهنا ليعقد له على امرأة ثرية ينبغى أن يدفع لهذا الكاهن بسخاء ! فسرت الريبة الى نفس جيمس . وسأل :

— اذاهب أنت لعقد قران فى مثل هذه الساعة ياأبت ؟

— نعم . . نعم . ! ان الزوج رجل سريع الانفعال ولكنه عظيم الشأن . وأما الزوجة فعنيدة متمنعة . . ولكن ذلك ليس من شئونى . فان الظروف الحالية عصيبة بالنسبة لرجال الدين . وحتى الاجر المعروض لايمكن الاستهانة به

— ترى من تكون العروس ؟ أو لعل الأمر سر من الأسرار ؟

فضحك الكاهن وهتف : بل أكثر من سر يابنى . ولو أن العالم كله سيعرف الحقيقة فى صباح الغد فعض جيمس على ناجذيه وقال : أحقا ؟

ثم أردف دون مبالاة : هل يؤدى هذا الطريق الى منزل ريفاديو ؟

— نعم . فليس فى هذه الانحاء سواه

— اذن فأنت ذاهب الى هذا المنزل ياأبت ؟ فضحك الكاهن . وقال :

— يا إلهى ! انك رجل بارع يابنى . ولا يسعنى إلا الاعتراف بانك انتصرت على

فضحك جيمس بدوره . ولم يشأ أن يلح أو يتابع الحديث فى هذا الاتجاه خشية

أن تساور الريبة الكاهن . ولكنه أدرك أن الموقف خطير . فلو استطاع بيرالتا أن يحقق أمنيته ويتزوج من بنيتا لقضى على كل آمال جيمس

وانه لكذلك مستغرق فى التفكير . اذا به يسمع صوت الكاهن وهو يسأله :

— هل تعرف السنيوريتا ؟ فأجاب جيمس بغير مبالاة : لقد رأيتها

فأردف الكاهن معقبا : انها من أجمل بنات حواء . نقية كالثلج . جياشة العواطف حقا . ان السنيور بيرالتا رجل سعيد الحظ

— اذن فهو الزوج السعيد — نعم . ولكنه رجل محب للمال . ولولا جشعه لما عرض على جنيهين مقابل عقد قرانه

ففكر جيمس وينتر بسرعة . ثم قال على سبيل التجربة :

— فى استطاعتك أن تحصل على ثلاثة أضعاف هذا الأجر إذا شئت يا أبت

— وكيف ذلك ؟ أكبر الظن انك لا تعرف السنيور بيرالتا جيدا

— لا أهمية لذلك .. فى استطاعتك أن تحصل على ستة جنيهات كما قلت

فضحك الكاهن . وهتف : اخبرنى كيف السبيل الى ذلك ؟

— عد الى المدينة ولا تذهب الى منزل ريفاديو انقدك ستة جنيهات

فجمد الكاهن فى مكانه . وهتف مأخوذا : انت ؟! انت تنقدنى ستة جنيهات اذا عدت أدراجى الى المدينة ؟ لماذا ..؟ أخبرنى ماالسبب ياسنيور

— لأنى أريد ألا يتم هذا الزواج . أظنك قلت منذ هنيهة أن الآنسة بنيتا ليست متحمسة لهذا الزواج . فتأخيره اذن من مصلحتها

فضحك الكاهن . وهتف : هوذا غريم لبيرالتا — وغريم خطر !

فصاح جيمس بلهفة : هل توافق يا ابت ؟

— هذا إذا جرؤت .. لكن وا أسفاه ! انك لاتعرف السنيور بيرالتا وقسوته . لو أنى نكصت على عقبي ولم أذهب الى منزل ريفاديو لقتلنى كما تقتل الدجاجة .

فقال جيمس معترضا : انه لن يجرأ على قتل كاهن !

— بل انه لايحجم عن قتل المطران جبريل نفسه لو انه اعترض سبيله ياسنيور . . يؤسفنى حقا أن أتجاهل العرض الكريم الذى تعرضه على . فابحث عن وسيلة أخرى إذا أردت تأخير الزفاف . وأما أنا فسأذهب الى المنزل اذا لاسبيل لى غير ذلك

واستأنف الكاهن السير . فلحقه جيمس . دون أن يحاول اقناعه بالعدول عن رأيه وفجأة . تهللت أسارير جيمس . وضحك ضحكة عالية . فنظر اليه الكاهن بدهشة وقال : يخيل الى أنه خطر لك خاطر طريف !

— طريف جداً يا أبت ! لقد عثرت على وسيلة تؤخر عقد الزفاف دون أن ادفع شيئا

— أحق ماتقول ياسنيور ؟! لو أفلحت خطتك لفقدت أنا الجنيهين وهو أمر يؤسف له .   — لامفر من ذلك يا أبت ..

فهز الكاهن رأسه وقال : مهما يكن فقد وصلنا الى نهاية الرحلة .. فهاهى أبواب منزل ريفاديو .   ورأى جيمس بوابة مفتوحة .. خلفها طريق تحف به من الجانبين أشجار النخيل .. وعلى مبعدة شبح منزل ينبعث الضوء من بعض نوافذه

— أهذا هو المنزل المنشود ياأبت ؟

— نعم ياسنيور ، وما دامت أغراضنا متعارضة ، فخير لنا أن نفترق هنا

فقال وينتر : هل تخشى أن تفقد جنيهيك

فضحك الكاهن بانلو ، وأجاب : بالتأكيد . فالوقت عصيب

فأغرق جيمس فى الضحك بدوره . ولكنه كان يعلم تماما أنه لو ترك الكاهن يسبقه الى الدار لانذر بيرالتا بوجوده فتسوء العقبى . ومن ثم تتبع الكاهن عبر البوابة فسأله هذا : ألا توافقنى على انه ينبغى أن نفترق هنا ..

— على العكس يا ابت . الرأى عندى أن نندمج معا ونؤدى الزيارة

فجمد الكاهن فى مكانه . وهتف : نندمج معاً .. أنا لاأفهمك ..

فضحك وينتر . وأجاب : لو نظرت الى يدى لوجدت الجواب على سؤالك

فنظر الكاهن الى يد جيمس . وما لبث أن تجسم الذعر فى عينيه لرؤية المسدس الذى صوبه وينتر نحوه . وهتف : ماذا تعنى ياسنيور ؟

— ان المسدس سريع الانطلاق ياأبت . وأخشى أن تنطلق منه رصاصة على غير ارادتى فترديك قتيلا . أو على الأقل تصيبك بجرح خطير .   — انك تمزح ولا ريب ياسنيور !   — على النقيض . . إننى جاد فيما أقول . لقد قلت لك منذ هنيهة اننى عثرت على وسيلة لتأخير الزفاف — وهذه أول خطوة — فى الطريق المؤدى إلى هذه الغاية . وأما الخطوة التالية فلن تصيبك . سر يا أبت نحو ظل أشجار النخيل . حيث نكون بمأمن من المتطفلين .   فتأوه الكاهن . وقال بصوت متهدج :

— هل تقصد قتلى ؟   فضحك وينتر . وأجاب : حاشاى أن أرتكب مثل هذه الجريمة . سر يا أبت . وأقسم لك بأغلظ الايمان ألا أمسك بأذى   فأجفل الكاهن ولكنه أذعن صاغراً . وانحرف نحو أشجار النخيل . ثم تخطاها إلى الحديقة التى تقع خلفها .   وأمره جيمس بالوقوف . ثم قال له :

— والآن اخلع هذا المعطف يا أبت . أنا واثق من أنه حمل ثقيل فى مثل هذه الليلة الحارة   — لكن .. لكنى ..   فهمس جيمس بحدة :

— اخلعه أيها الأحمق !   فأطاع الكاهن.. وسقط المعطف فوق الارض. فضحك

جيمس وقال آمراً : قف لصق هــذه الشجرة يا أبت . نعم . هكذا ! والآن ضع يديك خلف ظهرك . بديع ! انك أنموذج للطاعة يا أبت . وجرد جيمس الـكاهن من حزامه الحريرى . وربط به معصميه خلف الشجرة . ثم كممه بمنديله .

وضحك . ثم التقط معطف الـكاهن ، وارتداه . وخلع قبعته ووضعها فوق الارض وجذب قلنسوة الـكهنوت فوق رأسه حتى كادت تحجب وجهه .

وبعد هنيهة كان يطرق باب المنزل المصنوع من البلوط السميك .

ولم يطل انتظاره إذ سرعان ما فتح الباب . وبرزت من ورائه زنجية شـابة تحمل شمعدانا . ونظرت اليه بغير اكتراث .. ثم قالت : هل أنت الاب بابلو ؟ تفضل بالدخول وتنحت له عن الطريق . فعبر جيمس وبنتر الردهة بقلب واجف . ولم يلبث أن سمع صوت الباب الخارجى وهو يغلق بعنف .

الفصل السابع عشر

أجال جيمس بصره فى أرجاء الردهة . . فلم يرا أحداً خلا الزنجية التى فتحت له الباب وزنجيا عملاقا يجلس أمام باب مغلق .

وما كاد جيمس يرى الزنجى حتى غلى الدم فى عروقه . . وتملـكته نوبة جائحة من الغضب .. فقد عرف فيه العملاق سيزار . . ولـكنه كظم غيظه لأنه كان معنيا بما هو اهم من القصاص من الزنجى . .

وأدخلته الزنجية إلى الغرفة المجاورة لتلك التى جلس أمامها سيزار . . فابتدرها قائلا بصوت حاول كثيرا أن يجعله مغايرا لصوته كيلا يعرفه الزنجى :

— هل السنيور بيرالتا بالمنزل ؟ — كلا أيها الأب بابلو .. انه فى المدينة ، ولـكنه سيعود بعد قليل . . وقد أمرنا بأن نطلب اليك انتظار عودته

— حسنا . . وهل السنيوريتا بنيتا بالمنزل ؟ — نعم يا ابت

شعر جيمس بقلبه يثب بين ضلوعه . . . وقال منتهزا الفرصة : سأذهب لمقابلتها والتحدث اليها حتى يعود السنيور بيرالتا فبدا الجزع على وجه الزنجية وغمغمت :

— ليس يسمح لأحد بمقابلة السنيوريتا حتى يعود السنيو بيرالتا

— أحقا ؟ ! اهذه رغبة السنيوريتا؟ — كلا ايها الأب بابلو .. انه أمر السنيور

ولم تنتظر الفتاة اكثر من ذلك وأسرعت بمغادرة الغرفة .. وصفقت الباب خلفها .

وأخذ جيمس يذرع الغرفة جيئة وذهابا . . وهو مستغرق فى التأمل .

كان من الواضح ان السنيوريتا بنيتا سجينة فى منزلها على الرغم منهـا . . وتذكر جيمس الباب الذى يجلس أمامه العملاق سيزار .. فتساءل . . هل هذا هو باب غرفة

بنيتا ؟ وهل يقوم سيزار على حراستها حتى يعود سيده ؟ !

ضاق صدره . . فمشى إلى نافذة الغرفة وفتحها بسرعة وهدوء . . ومال إلى الخارج . . وحاول ان يرى نافذة الغرفة المجاورة . . ولكنه ثبت فى مكانه فجأة . فقد سمع صوتا حزينا خافتا اشبه بصوت امرأة تبتهل .

كانت تقول : رباه ! اعف عنى وارث لحالى . .

وخنقتها العبرات . . فابتعد جيمس عن النافذة . . وكأنما عقره كلب كلب مد يده تحت معطف الكهنوت وأخرج مسدسا من المسدسين اللذين يحملهما معه . . ثم اقترب من باب الغرفة . . وفتحه . . وتقدم فى الردهة . . وهو ممسك بالمسدس من فوهته خلف ظهره . .

كان سيزار شبه نائم فوق المقعد .. ولكنه ما كاد يسمع وقع أقدام جيمس حتى استوى فى مجلسه .. فتقدم جيمس منه .. حتى اذا أصبح على قيد خطوة واحدة . . أزاح القلنسوة التى تخفى ملامحه .. وما كاد سيزار يرى وجهه حتى استولى عليه الذعر .. وهم بالوقوف .. ولكن وينتر عاجله بلطمة هائلة من مسدسه فوق أم رأسه جعلته يسقط فوق الأرض شبه ميت .

ونظر جيمس الى العملاق نظرة الشامت .. وتلفت حوله ، فألفى الردهة خالية .. ورأى بابا مفتوحا والغرفة التى خلفه معتمة .. فمال فوق العملاق . . وجذبه من قدميه حتى أدخله فى هذه الغرفة وأغلق الباب .

ثم أعاد وضع القلنسوة فوق رأسه . . وعاد الى الباب الذى كان الزنجى يجلس أمامه .. وأصاخ السمع .. فلما لم يسمع صوتا من الداخل .. طرق الباب برفق .. ثم أدار مقبضه . ودفعه .. ونفذ الى الداخل بهدوء .. وأغلق الباب خلفه .

كان ثم شمعدانان يضيئان الغرفة .. ومع ذلك كان الضوء ضعيفا .. بيد انه استطاع ان يرى منظرا كاد يمزق قلبه .

رأى بنيتا جاثية أمام صورة للسيد المسيح .. وقد غطت وجهها بيديها .. مما دله على فرط حزنها .. وكان من الواضح أنها منصرفة عن العالم الى الابتهال والضراعة .. فلم تلاحظه أثناء دخوله الى الغرفة وفجأة .. رفعت الفتاة رأسها .. فاذا عيناها مخضلتان بالدموع .. وآيات الشقاء والتعاسة مجسمة فوق وجهها الجميل .

وما كادت تراه .. حتى تألقت عيناها ببريق الأمل .. وبسطت اليه يديها فى ضراعة .. ثم قالت : أيها الأب المقدس . . ارحمنى ! ساعدنى ! لاتدع هذا الرجل الشرير . . فقاطعها بصوت أجش : لست كاهنا ياسنيوريتا . ولكنى جئت لانقذك ما ان سمعت الفتاة صوت جيمس .. حتى انتفضت ولاحت على وجهها علامات

الذهول وعدم التصديق .. ثم همست : أنت !! أنت !! لكن لا !! هذا مستحيل .. لاريب ان عقلى ... فأسرع وينتر يقول مطمئنا :

— لا تخشى شيئا ياأجمل النساء .. لقد أرسلتنى العناية الالهية لانقذك

فقالت بجذل : لقد أنبأنى انك مت .. احترقت فى المنزل حيث تركناك

فقال جيمس بهدوء : كذلك كانت خطته الجهنمية .. لقد أمر خادمه بأن يشعل النار فى المنزل على أثر انصرافكما منه .. ونفذ الرجل ارادة سيده ، ولكن احدى صديقاتك تدخلت فى اللحظة المناسبة وأنقذتنى

— لعلها السنيورا تريزا ؟ — نعم !

— لقد زارتنى هذا الصباح .. وحدثتنى عنك وعن صديق ..

— وعندما اطلقت سراحى شرعت فى البحث عنك .. كنت اعلم ان بيرالتا لن يبقى فى باناما .. وأنه لاريب سيأتى بك الى تابوجا حيث مزارعك وضياعك التى يرجو أن تنتقل اليه . ومن ثم جئت الى هنا فى قارب يكاد يغرق ، بعد ان هددت صاحبه بالموت ان لم يذعن لارادتى و .. كان يتكلم بصوت متهدج .. يدل على فرط تأثره .. فرمقته الفتاة بنظرة غريبة .. وقالت هامسة : اذكر انك قلت انك ستأتى الى تابوجا — نعم .! لأوفى الدين الذى ادين به

فتهللت اسارير وجهها .. وانحسر عنها اليأس .. وقالت بسخرية :

— انك رجل صادق .. والا لماجئت الى هنا لوفاء دين قديم !

— اننا نضيع الوقت هباء ياسنيوريتا .. لقد جئت الى تابوجا لانقاذك .. ولكنى حين قطعت العهد على نفسى فى جمايكا كنت افكر فى ان اصارحك بحبى

فصاحت بصوت رنان : حبك .. ! حبك ! ماأسعدنى اذن !

— يجب ان تعلمى الحقيقة ياسنيوريتا .. ان سيزار ممدد فى غرفة مجاورة وهو شبه ميت .. وهناك فى تابوجا يجوس مئات من الاهالى الطرقات والدروب باحثين عن قرصان هبط الى البر بعد ان ارغم صيادا على نقله فى زورقه .. ولكن المطاردين فقدوا اثرى .. واخشى الآن ان يبادر بيرالتا بالعودة بمجرد سماعه النبأ ليستوثق من ان القرصان ليس انا فصاحت الفتاة بجزع : اذن فانت فى خطر داهم

— لوكنت سأواجه حساما واحدا لانتصرت .. ولكن مواجهة جموع من الرعاع ..

— اذن يجب ان ترحل .. ينبغى الا تنتظر قدومهم .. ربما .. استطيع .

وتخضب خداها بحمرة الخجل .. فهز رأسه سلبا . وقال :

— كلا .. لااستطيع ان اعرضك للخطر باصطحابك معى فى شوارع تابوجا الليلة فغدا اوبعد غد .. عندما يصل رفاقى سأتى لآخذك

— وغدا سأكون السنيورا بيرالتا اذا لم يقتل الشيطان . . لن استطيع تجنب الكارثة بحال فهو رجل واسع النفوذ . وسيرغمني على الاذعان لأرادته

— اذن فسابقى هنا مهما حدث — اما من سبيل آخر ياسير جيمس ؟

وفجأة . هبط عليه الوحي . . فتألقت عيناه ببريق الظفر . . فصاحت به :

— هل عثرت على وسيلة ناجعة ؟ — نعم . . وسيلة تخلصك من الرجل كزوج — على بها . . وعجل . . اسرع بالله عليك قبل أن يصل مطاردوك

فأجاب بتمهل : حسنا .. المعروف انه محظور على الرجل ان يتزوج امرأة رجل آخر

— هل تعني انك . . انني . . اوه ! ولكن هذا مستحيل . . إذ لا كهنة هنا

فضحك . . وأجاب : بل انه موجود هنا . . انظرى الى هذا المعطف الذى ارتديه . . انه معطف الأب بابلو الذى أرغمته على التنازل لى عنه

فقاطعته بيأس : انه صنيعة بيرالتا . . فقد كان قادما لعقد زفافنا

— ولكنه طوع أمرى ان شئت . . سيفعل ما آمره به . . وغدو ولكنه قسيس . . فاذا عقد لنا قبل أن يصل الرعاع . وتحتم على الفرار . فلن يتمكن بيرالتا من الزواج منك — يا الهى ! هذا صحيح . . إذن اسرع ياسير جيمس ، حتى اذا عاد بيرالتا الفانى زوجة . . فقال جيمس بحماس : سأذهب .. فاغلق الباب بالمزلاج ولا تسمحى لأحد بالدخول حتى أعود

وأسرع الى الخارج بهدوء وحذر . . وراح يبحث عن الكاهن حيث تركه . . ولكنه لم يجده فصاح بيأس : لاريب انى اخطأت . .

وبدأ يبحث من جديد . . وعندئذ خيل اليه انه يسمع أصواتا صادرة من بعيد . .

فكاد قلبه يكف عن الحركة وأدرك ان الرعاع قادمون . .

وانه لكذلك تتنازعه عوامل اليأس والرجاء . . إذ سمع شخصا يتنهد على مقربة . . فدار على عقبيه . . وركض نحو مصدر الصوت . . فوجد الكاهن موثقا الى الشجرة كما تركه . . ولكن الكمامة كانت قد سقطت عن فمه .

وضحك جيمس . . وفك قيد الكاهن . . وقال له :

— اليك معطفك فارتده ! أسرع أيها الأب بابلو . . فان الخطيبين فى انتظارك . . وكذلك الجنيهين . . فلم يبد على الكاهن انه تأثر بقول جيمس . . فهدده هذا بحسامه . . وعندئذ دبت فيه روح النشاط . . وأسرع مع جيمس نحو الدار . .

وفى الطريق سأله : هل لى ان أفهم انك عدلت عن رأيك ياسنيور . . وانك ستترك الميدان للسنيور بيرالتا ؟ — افهم ماشئت مادمت تسرع خطاك . .

— لكن . . . . فلوح جيمس بحسامه فى الهواء مهدداً . . وما كاد الكاهن يرى الحسام فى يد جيمس . . حتى جد فى سيره الى مايقرب من الركض . .

ونفذا الى الردهة . . وأغلق وينتر الباب الخارجى بالمزلاج . . ثم تقدم من باب غرفة بنيتا وقرعه برفق . . وفى التو فتح الباب . . واستقبلتهما بنيتا . . باسمة . . فهتف وينتر : هوذا كاهننا ياعزيزتى !

وأشار الى الكاهن ليتقدم . . وقال : ابدأ عملك يا أبت !

فتردد الكاهن . ولكنه رأى نظرة التهديد التى ارتسمت فى عينى جيمس . . فهرول الى الداخل . وساد الصمت هنيهة . وسمع الجميع همهمة صادرة من بعيد . فنظرت الفتاة الى وينتر متسائلة فهز هذا رأسه وقال :

— نعم . . ولكن مازال فى الوقت متسع .

ثم تقدم من الباب وأغلقه بالرتاج . وتحول الى بنيتا . وسألها : أين ؟ !

فاجابت بخجل : توجد كنيسة صغيرة فى المنزل .

— اذن اذهبي بنا الى الفردوس .

وعاد ففتح الباب . وتقدمتهما الفتاة فى الردهة . حيث وقفت بعض الخادمات تراقب ذلك المنظر الغريب — منظر جيمس وهو يرغم الكاهن على السير مهدداً اياه بالقتل ان تباطأ — وقد استولى عليهن الفزع . وانعطفت بنيتا فى دهليز . انتهى الى باب مغلق . ففتحته . ودلفوا الى كنيسة صغيرة .

وقالت الفتاة ووجهها يشرق بنور السعادة : سأوقد الشموع . وأعد المذبح .

فضحك جيمس وقال : انك حبيبة ثاقبة النظر يابنيتا .

ثم تحول الى الكاهن . وقال : انك تعرف مكانك أيها الأب بابلو . وأما مكانى

فعلى اليمين فيما أعتقد . . اخرج الانجيل . وابدأ مهمتك . فان الوقت ضيق

الفصل الثامن عشر

لم يتحرك الأب بابلو . وارتسمت على وجهه سمات القلق والحيرة . ثم غمغم :
— لكن . . لكن السنيور بيرالتا ؟
— انه خطيب متهاون بطىء ياأبت . ولا يستحق أن يزف الى هذا الملاك
فصاح الكاهن مأخوذا : يا إلهى ! هل تعنى انك . .
— تماما . . كتابك أيها الكاهن . . وابدأ مهمتك المقدسة .
ولكن الأب بابلو لم يكن فى عجلة من أمره . وقال بحيرة : انالسنيور بيرالتا . .
— قد خسر زوجة . بينما ربحت أنا واحدة . ابدأ يارجل !
— لست أجرؤ على ذلك . لأن الشيطان اللعين سيقتلنى عندما يسمع بما حدث
— وسأقتلك أنا قبل ذلك اذا لم تبدأ عملك فى التو ! !
وأردف بلهجة آمرة : هياوالا فبحق السماء ادفن حسامى فى صدرك !
الفى الكاهن نفسه عاجزا عن المقاومة . فبدأ اتمام المراسيم الدينية بصوت مرتعش
وركع الخطيبان ويداهما متماسكتان . . وكان جيمس يوزع اهتمامه بين سماع الانجيل والأصوات الصاخبة التى كانت تقترب تدريجيا من المنزل . وهو يرجو ألا يصل الرعاع الى الدار قبل أن ينتهى الكاهن من مهمته . وأحس بيد بنيتا ترتعش فى يده . فنظر اليها . فاذا وجهها الجميل شاحب اللون . فضغط على يدها مطمئنا
وبدأ الكاهن يفرغ من تلاوته . . فتنفس وينتر الصعداء . . وبسط الكاهن يده إلى الخطيب فى طلب خاتم الزفاف ليباركه . . فسقط فى يد الشاب وهتف بجزع :
— يا إلهى ! ليس معى خاتم . . لكن أواه . ! ان ذاكرتى تخوننى كثيراً هذه الأيام . وأخرج الخاتم الذى عثر عليه مع القرصان القتيل فوق الشاطىء من جيبه . وقدمه للكاهن الذى باركه . وألبسه لبنيتا وفى اللحظة عينها سمع جيمس أصواتا صادرة من خارج المنزل جعلته ينتفض . . ولم يكن بينهم من يجهل حقيقة هذه الاصوات غير الكاهن . . فهم بأن يعلنهما بأنهما قد أصبحا زوجين . . ولكن الجلبة قد اشتدت فى الخارج . فتوقف ، ولمعت فى عينيه نظرة ذعر
فصاح جيمس متوعداً : استمر أيها الكاهن ! ولكنه تردد . فقد كانت لهفة وينتر . . وامتقاع وجه بنيتا باعثا له على إدراك الحقيقة فهذه الجلبة تعنى تدخلا ، ولا أحد يستطيع التدخل غير رجل واحد . . هو بيرالتا . .

وأيقن الكاهن أن الموقف خطير .. وانه لو أتم الزفاف لقضى عليه بيرالتا قضاء مبرما . ومن ثم أخذ يتلكأ فى اتمام الزواج .

وقرأ وينتر مايعتمل فى نفسه . فأخرج أحد مسدسيه من منطقته . وصوبه الى صدره . وقال بلهجة آمرة : استمر

فسقط فى يد الكاهن . ورفع يده وبدأ يعلنهما بانهما أصبحا زوجا وزوجة أمام السماء والارض . ومن الخارج تصاعدت صيحات اهتياج وانفعال .

فتمهل جيمس ريثما انتهى الكاهن من اتمام المراسيم الدينية . ثم قبل زوجته . وقال للكاهن : سوف تسجل الزواج فى كنيستك ياأبت . وسأوقع على العقد كما ستوقعه بنيتا فارتسمت فى عينى الكاهن نظرة إرتياب . لم تخف على عيني وينتر . فأدرك الشاب انه ان لم يسجل الكاهن الزفاف فسيصبح ميسورا الطعن فيه بل وإنكاره . وذلك مايتفق تماما وأغراض بيرالتا ومن ثم تحول إلى زوجته وقال : هيا احضرى قرطاسا وقلما ياعزيزتى

فغادرت بنيتا الكنيسة على عجل . وانتظر الرجلان عودتها صامتين .. وكان الكاهن يتمنى لو طالت غيبتها حتى يقتحم القادمون الكنيسة .. بينما أخذ وينتر يعد اللحظات فى انتظار عودة زوجته .

وبعد لحظات عادت بنيتا بالقرطاس والقلم . . فسألها جيمس بهدوء :

— ألا من سبيل آخر يؤدى الى خارج الدار ؟

— نعم . يوجد خلف هذا الستار باب يؤدى الى جناح أبى

— اذن اغلقى باب الكنيسة الرئيسى . وضعى الأثاث فوقه . ريثما أصفى حسابى مع الكاهن وأخذ القرطاس والقلم . وتقدم منه . وقدمهما له . قائلا :

— اكتب وثيقة الزواج أيها الأب بابلو

ما كاد جيمس ينتهى من قوله . حتى سمع قرعا عنيفا فوق باب الدار الخارجى وصاحت بنيتا محذرة . بينما شعت عينا بابلو ببريق الأمل . وقال باسما :

— اخشى ألا أستطيع امساك القلم ، فان يدى متصلبة من مرض الروماتيزم وقد جاء الوثاق فزاد من وطأة الألم فعصف الغضب بين جنبي جيمس . وصاح هادراً :

— خذ القلم أيها الرجل . وإلا فبحق السماء . .

ولوح بالمسدس فى وجه الكاهن . حتى التصقت فوهته بجبهته . ولكن بابلو لم يتأثر وقال بهدوء : انك لن تستطيع قتلى فى مكان مقدس ياسنيور

— بل اقتلك ولو كنت فى السماء ! خذ القلم ! اسرع أيها الاحمق . !

فأخذ بابلو القلم بيد ترتجف . وبدأ يكتب ببطء . وهو يرجو أن يأتيه العون

فى الوقت المناسب وقبل أن يفرغ من تحرير وثيقة الزفاف

وسمع جيمس وقع أقدام فى ردهة المنزل . أعقبتها أصوات تتحدث بلهفة . . ومن خلال نوافذ الكنيسة المغلقة سمع الشاب صيحات الرعاع ، وهم يزأرون قائلين :

— يالقرصان اللعين ! ! احرقوه !

وكانت بنيتا قد فرغت من تكديس الاثاث خلف البـاب . . فالتفتت الى جيمس وهتفت فى ضراعة . وجزع : أواه ! اسرع !! لقد أتوا ! ! انى أسمع صوت بيرالتا

وكان جيمس قد سمعه أيضا . سمعه وهو يقول للرعاع : قدواعدنا حتى استدعيكم

فنظر الى الكاهن . وصاح به : هل انتهيت من عملك ؟

— نعم . ولم يبق غير التوقيعات ياسنيور

فأخذ جيمس القرطاس . وقرأ ماسجله الكاهن فوقه . ثم اختطف القلم من يده ووقع . . كما وقعت بنيتا بيدها . . وهمست بضراعة : والآن اذهب يازوجى العزيز .

فضحك وأجاب : كلا . . لم يحن بعد . فمازال هناك توقيع آخر

وقدم القلم للكاهن . ونطق بكلمة واحدة : وقع !

وما كاد الكاهن يمسك بالقلم حتى سمع طرقا عنيفا على باب الكنيسة . فارتسمت على وجهه علامات التذمر . وأيقن أن ثم أملا فى النجاة .

وغمغم جيمس باقتضاب : لئن نطقت بكلمة واحدة فانت من الهالكين . ! وقع ! أسرع . . والا فبحق السماء أقتلك! فأيقن الكاهن ان أجله قد دنا ان لم يوقع . فغمس القلم فى المداد . ثم سجل اسمه فوق الوثيقة .

وأخذ جيمس القرطاس ، ونظر إلى التوقيعات . ثم ضحك . وقال :

— لقد أصبحنا زوجين رغم أنف بيرالتا

فهتفت بنيتا فى لهفة : أواه ! أسرع فان الباب . .

كان أحدهم يدفع الباب من الخارج بعنف . وبدأت قطع الأثاث تتساقط ، فتقدم جيمس من زوجته . وأخذها بين ذراعيه . وقبلها . ثم همس فى أذنها :

— غدا . أو بعد غد على الأكثر — سأعود فى طلب زوجتى

— سوف أكون فى انتظارك ياسيرجيمس . اذهب ! فانهم يوشكون على تحطيم الباب

فركض جيمس نحو الستار . ورفعه . ثم فتح الباب الذى خلفه . وتسلل منه . وتوقف هنيهة . ونظر من وراء الستار . وفى اللحظة التالية تحطم باب الكنيسة ونفذ الى الداخل عدوه الألد بيرالتا . وفى يده حسامه .

كان فى استطاعة جيمس أن يقتل بيرالتا برصاصة من مسدسه وهو متوار خلف الستار ولكن كبر عليه أن يوصم بالغدر . وآثر أن يتمهل حتى تحين فرصة أكثر

ملاءمة ليصفى الحساب بحد السيف . وسمع جيمس عدوه يقول بدهشة :
— هل أنت وحدك يابنيتا .؟! والأب بابلو فى الانتظار ؟! لاريب أنه أصغى الى اعترافك وفى هذا اختصار للوقت .
وضحك ضحكة غريبة ثم صاح بحدة : أين ذلك النذل الذى جاء الى هنا ؟
— اذا كنت تتحدث عن زوجى ياسنيور بيرالتا . . ! — زوجك ؟
صاح بيرالتا بهذه الكلمة فى لهجة المشدوه . وراح يضرب الأرض بحسامه فى غضب شديد وقد تعذر عليه الكلام . .
وبعد جهد استطاع أن يقول : ماذا تعنين بهذه الكلمة ؟
ورأى جيمس الأب بابلو ينظر ناحية الستار . فادرك أن وقت انصرافه قد حان .

الفصل التاسع عشر

راح بيرالتا يردد الطرف بين بنيتا والكاهن وشرر الغضب يتطاير من عينيه وأخيرا صاح بالكاهن : ماذا حدث هنا ؟ . تكلم . أسرع !
فارتعدت أوصال بابلو ، ولاذ بالصمت . فتقدم بيرالتا منه ، وصفعه فوق وجهه بجمع يده ، ثم صاح : تكلم أيها الأحمق
كان للطمة تأثير مضاد لما أراد بيرالتا، إذ راح الكاهن يتمتم بكلام مفكك .. فزاد غضب بيرالتا ، ونظر إلى الكاهن نظرة صاعقة
وأخيرا قال الأب بابلو : لاتنح على باللائمة ياسنيور ، لم يترك لى الشيطان فرصة للاختيار ، وأرغمنى على اتمام المراسيم تحت تهديد المسدس
— من هو الذى أرغمك ؟ ما اسمه ؟
— جيمس وين .. وين .. لقد نسيت اسمه
فقاطعه بيرالتا بحدة : اكان اسمه جيمس وينتر ؟ — نعم ، هذا هو اسمه
وأردفت بنيتا بسخرية : انه كان اسمك فيما سبق ياسنيور ، اليس كذلك .؟
أهاجت هذه العبارة بيرالتا إلى درجة الجنون . ولكن الفتاة لم تعبأ بثورته . وبقيت رابطة الجأش تنظر اليه فى سخرية
واستطاع بيرالتا أن يتمالك هدوءه بمجهود جبار ، ثم قال بحدة :
— اذن قد خدعتنى ، فتزوجت من رقيق هارب احترف القرصنة ؟! لكن هل تظنين أن مثل هذا الزواج . . وأمسك عن الكلام وتحول الى الكاهن ، وسأله :
هل شهد هذا الزواج شاهد ؟

— سمعتك تقول انك اضطررت الى اتمام الزفاف تحت تهديد المسدس ؟

— هذا صحيح ياسنيور . كان مسدسا ذا فوهة طويلة !

فضحك بيرالتا . وقال ساخرا : اذن فهو زواج باطل ! وعلى ذلك فستعقد لى على السنيوريتا بحضور بعض الشهود .

وارتفعت صيحات الرعاع من الخارج . فرفع بيرالتا حاجبيه وأصاخ السمع قليلا . ثم قال لبنيتا : هل تسمعين ؟ فى الخارج جموع من الشعب تبحث عن الهارب . ولا ريب انهم سيعثرون عليه ويفتكون به . بعد أن نمى اليهم مافعله وعصبته السفاكون فى بناما

وضحك ضحكة شريرة . وسأل الكاهن : كم مضى عليه من الزمن منذ انصرف ؟

— دقائق معدودات ياسنيور . لقد كان هنا عندما كنت تحاول فتح باب الكنيسة

— ياللجحيم . لماذا اذن لم تخبرنى بذلك أيها الاحمق ؟ قد يكون بالمنزل حتى الآن

وركض الى الخارج . وراح يصدر أوامره الى الرعاع . قال :

— ليفتش بعضكم المنزل . ولينطلق البعض الآخر الى الحديقة . وليرابط آخرون عند الابواب ! وعاد الى الكنيسة . ومعه ستة رجال . وسأل الكاهن :

— أى الطرق سلك ؟ فأشار الكاهن الى الستار . وعندئذ صاح بيرالتا :

— الطريق الخاص ؟! ياالهى انه لم يغادر المنزل بعد . ليدخل ثلاثة منكم من هذا الباب وليبق واحد فى الردهة . ويفتش الباقون الغرف السفلى . ولمن يأتينى بالهارب منكم مائة دبلون . هلموا اذهبوا !

فانصرف الرجال مهرولين . والتفت بيرالتا الى بنيتا وقال ضاحكا :

— سوف ننتظر حتى يشهد زوجك المزيف عقد قراننا . قبل أن يرحل الى جهنم

فقاطعته الفتاة بهدوء : اذا كنت تعتقد انه فى استطاعتك أن ترغم زوجة رجل آخر

فقهقه بيرالتا ضاحكا فى سخرية . وهتف :

— زوجة ؟! هل تعتقدين أن زفافا يتم بدون حضور شهود . وتحت تهديد المسدس ...

فقاطعته الفتاة بحدة : ولكنى لم ارغم على الزواج .

أخذ بيرالتا بهذا التصريح . ولكنه تمالك هدوءه . وقال :

— لقد كان الكاهن

مهدداً بالموت . فاضطر الى اتمام الزفاف خوفا على حياته . وفضلا عن ذلك فليس هناك وثيقة زواج — احقا ؟! انظر الى الأدوات الموضوعة فوق المنضدة . هل تعلم لماذا أحضرتها هنا ؟ فلم يجبها بيرالتا مباشرة . ونظر الى الأب بابلو بعينين متقدتين . فأومأ هذا برأسه فى قنوط ثم قال : نعم . توجد وثيقة موقعا عليها منى ومن الزوجين

فضحك بيرالتا ضحكة صفراوية . وقال : لا أهميـة لذلك . انها وثيقة غير قانونية . فقد صدقت عليها خوفا على حياتك ! لـكن أين هى الوثيقة ؟

— لقد أخذها الوغد معه ياسنيور

— لـكن . عندما يقبض عليه الرجال سنجرده منها

وعاد الرجال الذين عهد اليهم بيرالتا بتفتيش المنزل . وأعلنوا أنهم لم يعثروا للهارب على أثر . فلم ييأس سيدهم ، وقال بهدوء : لاريب أنه انسل الى المدينة . ولـكنه لن يفلت من قبضة رفاقـكم . فاذهبوا لمساعدتهم وقولوا لهم اننى أريد الرجل حيـا . هل تسمعون ؟! اذهبوا ! فانسحب الرجال . وظل بيرالتا يذرع الغرفة بضع لحظات ثم توقف فجأة وتحول الى الـكاهن . وقال :

— أيها الأب بابلو . ليس من اللياقة أن تبقى السنيوريتا فى الانتظار

فقاطعته الفتاة بهدوء : بل سنيورا !

— أما زلت تتوهمين انك متزوجة ؟ حسنا . سأذهب لاستدعاء الشهود

وتقدم نحو باب الـكنيسة . ونادى بعض الخدم . فأقبل اربعة من الزنوج ، ففرقهم فى أنحاء الـكنيسة ثم تحول إلى بنيتا . وقال : هات يدك ياسنيوريتا .

ولـكن الفتاة لم تتحرك من مكانها . وراحت تعبث بالخاتم الذى وضـعه وينتر فى أصبعها . وهى ترمق بيرالتا بنظرة تطفح بالسخرية وضحك بيرالتا ضحكة جوفاء وقال : على رسلك ياسـيدتى . هلم أيها الأب ابدأ عملك . فتلفت بابلو حوله فى يأس . ثم قال : آسف ياسنيور . ليس معى انجيل . فقـد أخذه ذلك الوغد جيمس معه . فقال بيرالتا : لـكن . لاريب انك تذكر المراسيم الدينية . فابدأ !

— أرى من واجبى أن أذكرك ياسنيور بان السنيورا لم تصبح أرملة بعد . وعلى ذلك فانا لا أستطيع أن أعقد لك عليها . وإلا ارتكبت خطيئة لاتغتفر حملق بيرالتا فى وجه الـكاهن وهو يكذب أذنيه . ثم انفجر قائلا : يا إلهى ! هل تعترف بان الزواج الذى تم تحت تهديد المسدس شرعى ؟ — بالتأكيد ياسـنيور . ولا أحد غير البطريرك يستطيع فسخه — هراء وسخف . هيا ابدأ اجراءاتك يا رجل

ولـكن الـكاهن قال باصرار : لا أستطيع ذلك يا سنيور .

فثارت ثائرة بيرالتا . وهم بالانقضـاض عليه . ولـكنه توقف فجأة حين رأى أحد

الرجال الذين ذهبوا لمطاردة جيمس يدخل إلى الكنيسة . سأله بلهفة :

— هل جئتني بأنباء ؟ — نعم ياسنيور . لقد شوهد الوغد على مقربة من البوابات . وكان يركض كالغزال — ألم تقبضوا عليه ؟ — كلا . ولكنه لن يستطيع الهرب . فالرجال منبثون فى كل مكان ففكر بيرالتا قليلا . ثم قال :

— حسنا . انتظرنى بالخارج والتفت الى الكاهن وحاول أن يثنيه عن عزمه . لكى يتم الزواج . ولكن الكاهن رفض باصرار . كما رفضت بنيتا أيضا . وعندئذ قال بيرالتا بسخرية : حسنا . لن يكون من المتعذر ارغامك على عقد القران متى قبض رجالى على زوجك المزعوم فلن يكون ثم اسهل من قتله . لتصبحى أرملة ، وفى تلك الاثناء ينبغى ألا تغادرى المنزل . — هذا منزلى ومن حقى أن أغادره حين أشاء

— أحقا ؟ ! ونادى بيرالتا الرجل الذى كان ينتظره بالخارج . ثم قال له باقتضاب : يجب أن تبقى هذه السيدة هنا ! إنك مسئول عنها ، حذار أن تغادر هذه الكنيسة قبل عودتى . — حسنا ياسنيور . واذا حاولت . . .

— شد وثاقها .. هل فهمت ؟ ثم تحول إلى الكاهن وساله :

— هل اذا اصبحت هذه السيدة ارملة تزول الموانع التى تحول دون زواجها منى ؟ فقال الكاهن وقد سره ان يجد مخرجا من مأزقه : بالتأكيد

— حسنا ثم غادر الكنيسة مهرولا .

الفصل العشرون

عندما غادر جيمس الكنيسة . . وتقدم فى الدهليز السرى . . رأى امامه درجا صغيرا . . يؤدى إلى الطابق العلوى . . فارتقاه . . واذا به امام باب مغلق . فتوقف قليلا . . واصاخ السمع . . ولما لم يسمع صوتا من الداخل . . فتحه ودلف الى غرفة نوم فسيحة . . تطل على مقدمة المنزل . .

وتقدم من احدى نوافذ الغرفة . . واطل الى الخارج . . فرأى نفرا من الرجال كان بعضهم يحمل مشاعل والبعض الآخر سيوفا . فتريث قليلا حتى اذا اخذ الرجال يتفرقون فى مختلف الاتجاهات فى جماعات صغيرة . . عندئذ بدأ يبحث عن الباب المؤدى إلى الخارج . . وغادر الغرفة من باب غير الذى دخل منه . . فألفى نفسه فى دهليز طويل .. انتهى الى درج .. هبطه . . فرأى بابا مفتوحا . ينبعث الضوء منه فتمهل . وارهف أذنيه . . ثم جرد حسامه . وتسلل بهدوء من الباب فاذا بغرفة عتيقة الاثاث . . بها باب آخر وقفت على عتبته بعض الزنجيات وهن يتهامسن فيما بينهن وادار جيمس بصره فيما حوله . . فرأى بابا ثالثا ، استنتج انه يؤدى الى الخارج

كان هذا الباب على يمينه ، ولا يبعد أكثر من اربع ياردات ، ولما كانت النسوة توليه ظهورهن فقد عول على المجازفة . ومحاولة الخروج منه

تقدم على اطراف اصابعه ، ودنا من الباب بهدوء ، ثم ادار المقبض بحذر . وجذب الباب فانفتح ، دون ان تشعر به النسوة . وعبره . ثم اغلقه خلفه ، وتنفس الصعداء . وما كاد يخطو خطوة واحدة ، حتى سمع وقع اقدام على مقربة منه . فاستدار على عقبيه ، وهو يشدد الضغط على قبضة حسامه .

وفى اللحظة التالية ، وثب جيمس على القادم ، وطعنه طعنة نجلاء ، سقط الرجل على اثرها يتضرج فى دمه ، ثم اسلم الروح دون ان ينطق بكلمة

وانتزع جيمس حسامه من صدر الرجل . وتحرك لصق الجدار بسرعة وهدوء

وبلغ نهاية المنزل ، فأنعم النظر الى الطريق المؤدى الى البوابة الكبيرة . فألفاه مهجوراً . فبدأ يعبره على عجل ، وعندئذ سمع وقع اقدام تهرول نحو مؤخرة المنزل فأدرك ان اصحابها ذاهبون للانضمام الى الحارس الذى قتله وانهم لايلبثون حتى يكتشفوا الجثة فيسارعوا بالبحث عن القاتل فى المنزل او الحديقة على السواء

واحتمى بظل إحدى الأشجار . . حتى اختفى الرجال . . ثم اندفع يركض فى الحديقة . . وعندئذ سمع صرخة مروعة . فأيقن ان الرجال اكتشفوا جثة زميلهم . . وساد الهرج والمرج . . وأقبل نفر آخر من مقدمة الدار . . فشق جيمس طريقه بين الأعشاب ، حتى وصل الى الطريق المؤدى الى البوابة الخارجية . . فلما بلغه . . مضى يقطعه وهو يسير فى ظلال أشجار النخيل . . ولكنه لم يلبث أن جمد فى مكانه . . والتصق باحدى الأشجار . . فقد سمع وقع أقدام كثيرة مقبلة من الخلف . .

وحبس أنفاسه . . حتى مر الرجال من أمامه فى طريقهم الى البوابة الخارجية ليقطعوا السبيل عليه . . ويمنعوه من الخروج . . كان الموقف دقيقا . . وأدرك جيمس على الفور عبث محاولاته . . فصح عزمه على تسلق سور الحديقة . .

ومضى يخترق الحديقة فى ظلال أغصان الأشجار المتشابكة . . ولكنه لم يكد يذهب بعيدا ، حتى سمع أصوات بعض المطاردين وهم يتحركون بين الأعشاب . . وينادون بعضهم بعضا محاولين ان يظلوا على اتصال دائم . .

كان المطاردون قد وزعوا أنفسهم فى الحديقة . . وساروا فى صف مستطيل ليتسنى لهم تفتيشها بدقة . . فسقط فى يدى جيمس . . ولم يدر ما السبيل لكى يتجنب الوقوع فى أيديهم نظر حوله . . فرأى شجرة ضخمة من أشجار السرخس ذات الأغصان المدلاة فوق الأرض ، على قيد بضع أقدام منه . . فاسرع اليها . . والتصق بجذعها . . وانتظر وإن هى إلا لحظات حتى اقترب المطاردون من الشجرة . .

ورأى اثنين منهما يتقدمان فى اتجاهه . . وهما يضربان الأعشاب بحساميهما

فغاص قلب جيمس ، وأيقن انه من الهالكين اذا فتش الرجال البقعة التى يلوذ بعناية كما يفعلون فى تفتيش الأدغال . .

وانفصل أحد الرجلين عن زميله . . وتقدم من الشجرة .. فحبس جيمس أنفاسه ، والتصق بالشجرة بشدة . واقترب الرجل ، وكان من الواضح انه لايتوقع اكتشاف الرجل الذى يبحثون عنه مختبئا بين أغصانها ، إذ لوح بحسامه فى الهواء دون اهتمام . ومر الحسام من أمام وجه جيمس ، وارتطم بحسامه الذى يشهره فى يده ، فأحدث صوتا سمعه الرجل وهتف الاسبانى مأخوذا : يا الهى !

ثم جذب حسامه بعنف ، وسمع وينتر صوت زميله الاسبانى وهو يركض نحوهما ، وعندئذ برز من مخبئه ، وانقض على الرجل الأول ، وطعنه فى كتفه ، فسقط على الأرض ، وهو يصرخ متألما ولما رأى الاسبانى الآخر ماحل بزميله ، نكص على عقبيه ، وولى الأدبار ، وهو يصيح برفاقه محذراً ، وما لبث ان علا الصياح ، ونشطت الحركة فى الحديقة ، وساد الهرج والمرج

وانضم وينتر الى الصائحين ، ونادى على الاسبانيين يحذرهم من الهارب كأنه منهم ، وهو يوجههم فى اتجاهات مزيفة ، بينما كان يشق طريقه نحو البوابة الخارجية

وأخيرا استطاع ان يقترب من البوابة . . فرأى ثلاثة رجال يقومون على حراستها. فأراد ان يحتال على الخروج دون ان يصطدم بهم .

تقدم منهم وهو يتخذ من ظل أشجار النخيل ستارا يحجبه عن أعينهم . . ثم برز فجأة . وركض صوب البوابة . . فرآه أحد الحراس . . وصاح يحذر رفيقيه

وفى اللحظة التالية كف جيمس عن الركض . . وراح يحملق فى الرجال كالمشدوه . كما لو كان لا يتوقع وجودهم هناك .. ثم تراجع نحو الحديقة .. واندفع بين أشجارها وسمع الحراس يصيحون . . ويهبون فى أثره . . فصاح بدوره بالاسبانية : .

— يا الهى ! انه هنا ! المعونة ! وختم جيمس استغاثته بصرخة مروعة . ثم ركض نحو البوابة . . وعندئذ رأى آخر الرجال الثلاثة يندفع داخل الحديقة . . بين الأشجار . وأدرك الشاب انه نجا من الخطر مؤقتا . . فضحك ملء شدقيه . وأطلق ساقيه للريح فى طريق تابوجا

الفصل الحادى والعشرون

ظل جيمس يركض بكل قوته مسترشدا بالضوء البعيد الذى ينبعث من الحرائق التى كانت تلتهم مدينة بناما . . حتى اقترب من الميناء . . حيث ترسو بعض السفن . .

ورأى جيمس سفينة تقترب من المرفأ .. فأدرك أنها تحمل شحنة من المهاجرين . الذين جاءوا ينشدون الملجأ المؤقت فى تابوجا .

راح يبحث عن قارب يقله إلى بناما . . ولكنه سمع فجأة وقع أقدام بعيدة تهرول نحوه مقرونة بصيحات الانفعال والتحذير . . فلم يخامره الشك فى ان بير التا قد اكتشف فراره . . فبعث رجاله فى أثره . .

وكان قد وصل إلى حدود مساكن الجزيرة . . فهدأ من سرعته كيلا يجتذب الانظار اليه .. وراح يبحث عن البقعة التى التقى فيها بالزنجية عند ذهابه إلى ضيعة بنيتا ليسترشد بموقعها .. ولكنه اخفق .. وبعد برهة التقى بعابر سبيل ، فسأله :

— أرجو المعذرة ياسنيور . . هل لك ان ترشدنى إلى منزل الدون استودللو ؟

كان الظلام شديدا . . فلم ير جيمس ما بدا على عابر السبيل من الفزع والدهشة وتمالك عابر السبيل هدوءه بمجهود كبير ، ثم ضحك ، وأجاب :

— فى استطاعة أى شخص من أهل تابوجا أن يفعل ذلك ، بيد انى استطيع أن أفعل أكثر من أى انسان آخر ، فانى ابن أخيه .. اسمح لى بأن أقودك الى هناك

وسار الاسبانى بجانب جيمس .. فاضطر هذا الى مرافقته مخافة ان يثير ريبته .. وراح يلعن القدر الذى يوشك أن يفسد عليه خطته فى آخر لحظة

وكأنما تعمد الاسبانى التلكؤ فى سيره .. حتى لحق بهم المطاردون ، ولكنهم لم يرتابوا فى امرهما .. اذ كانوا يبحثون عن رجل يركض لا عن اثنين يسيران الهوينا .. بيد انهم اعترضوا سبيلهما .. وسألهما أحدهم : هل رأيتما شخصا يركض فى هذا الطريق ؟ كان جيمس ورفيقه يقفان فى ظل احدى الاشجار . . وتحسس جيمس موضع مسدسه .. فقد أدرك ان اللحظة الحاسمة قد دنت . . لكن شد ما كانت دهشته عند ما سمع رفيقه يقول :

— لقد رأينا رجلا يركض فى هذا الطريق منذ دقيقتين

فصاح الرجل : يا للشيطان . ثم أشار الى زملائه .. وابتعدوا مهرولين

وضحك رفيق وينتر .. وبعد ان سارا بضع ياردات .. توقف .. وقال :

— ها قد وصلنا .. سأطرق الباب الآن

فألقى وينتر ببصره ناحية الميناء .. ثم بدأ يعتذر لرفيقه قائلا :

— ان الوقت متأخر ياسنيور .. وليس من اللياقة ان نزعج كهلا من نومه

فضحك رفيقه ضحكة رقيقة .. وقال بصوت نسائى مألوف :

— اخبرنى ياسنيور وينتر .. هل قتلت الخائن بيرالتا . ؟

فأجفل جيمس .. وهتف مأخوذا : ياإلهى ! من أنت ؟

فضربت رفيقته الارض بقدمها .. وصاحت : أجبنى ! هل قتلته ؟

— وا أسفاه ! كلا .. لم تكن الظروف مواتية ! لكن من ..

— وما أهمية ذلك ؟ لقد التقينا من قبل فصاح مشدوها : السنيورا تريزا ؟ !

فأجابت بحنق : إنك بليد الذهن ياسنيور ! أيعوزك كل هذا الوقت لتعرف من أنا ؟ ثم لماذا لم تقتل بيرالتا ؟ ! لقد خيبت رجاء عمى فيك ، سوف يعتقد انك بطل عند الكلام ، جبان عند امتشاق الحسام ! فضحك جيمس وينتر ، وقال :

ـ لكن فى استطاعتك ان تقولى له انى تزوجت بنيتا رغم أنف بيرالتا ، فقد يخفف ذلك من جرمى فى نظره

— ماذا تقول ؟ هل تزوجت بنيتا ؟

نطقت السيدة بهذه العبارة بلهجة تدل على فرط الدهشة . فضحك جيمس وقال :

— نعم . وأخذا يسيران الهوينا . ومضى الشاب يسرد على مسامعها الحوادث كما وقعت فى منزل بنيتا . حتى اذا فرغ من سرده . هتفت المرأة فى مرح :

— مرحى ! مرحى ! لاريب أن عمى سيطرب حين يسمع هذه القصة الرائعة .

ثم تبدلت لهجتها فجأة . وسألته بلهفة : وهل تركت بنيتا تحت رحمة الشيطان بيرالتا؟

— لم يكن فى استطاعتى أن أفعل غير ذلك مؤقتا .

— ياللشيطان ! انك لاتعرف هذا الرجل . أؤكد لك أنه لن يوافق على هذا الزواج . وسيرغم الكاهن على أن يعقد له عليها .

— يا إلهى ! هذا لم يخطر لى ببال . أرى أن أعود لانتزع بنيتا منه !

— طب نفساً ياسنيور . فسأذهب أنا لأحميها من شروره

فنظر جيمس اليها مشدوها . ولكنه لم يرتب فى صدقها . وقال :

— انك طيبة القلب ياسنيورا . ولكن لماذا تجازفين بنفسك من أجلى ؟

فضحكت وقالت : هل تظن انى ناكرة للجميل ؟ ! ثم انى أكره بيرالتا من كل قلبى . لأنه أشار بزواجى من زوجى الكهل . . .

فقاطعها جيمس بهدوء : لقد مات زوجك ياسنيورا ! فقالت بحدة :

— هذا صحيح . ولن أسكب عبرة واحدة عليه . انك لاتعرف الحقيقة ياسنيور لقد نصح بيرالتا بزواجى ـ وأنا الفتاة التى تنشد الحياة والشباب ـ من زوجى الكهل كجزء من خطة وضعها لتعود عليه بالمنفعة الشخصية . . وقد وافقته أمى على رأيه .. ولما أعلنت رفضى لهذا الزواج . قالت أمى للكاهن انى صغيرة السن ولا أعقل ماأقول ولكم عانيت على يدى ذلك الكهل . . كان كالذئاب يلهب ظهرى بالسوط كلما عصيت له أمرا . . ولعلك تذكر انه بعث الى بعسدس وهو يحتضر لكى يحرمنى من الحياة

والحرية بعد وفاته كما حرمني منهما ابان حياته . فهل لى بعد ذلك أن أبكى عليه ؟ !
وقد كان بيرالتا مستشار زوجى المقرب . . وطالما حضه على إيلامى وتعذيبى . . فهل
يوجد فى الدنيا دافع للبغضاء أقوى من هذا ؟ اذن استطعت أن أنتقم من هذا الشيطان
فستكون بنيتا من نصيبك . يالهى ! كم أكره هذا الرجل من كل قلبى !

— لا أحسبك تفقدينه أشد منى ! أرى ان نفترق الآن . . وسأذهب الى الميناء
لعلى أوفق فى العثور على قارب أستقله الى بناما . على أنى أعدك بأن أعود سريعاً
لأنقذ بنيتا من مخالب هذا الشيطان .

الفصل الثانى والعشرون

ما أن اقترب جيمس من الميناء حتى سمع جلبة شديدة . أعقبتها طلقات نارية .
وصيحات تهليل وانتصار . فخفف من سرعته . وأدرك أن بعض القراصنة قد أغاروا
على الجزيرة وانهم يستولون على السفن الراسية فى الميناء

وزاد الضجيج والصخب ، واستيقظ سكان تابوجا ، مذعورين مروعين

ورأى جيمس السكان وهم يغادرون دورهم حذر الموت . وقد فزعوا الى الغابات
والحقول ليلوذوا بها من شر الغزاة وتمهل وينتر ريثما يخف ضغط الهاربين
ثم أسرع إلى الميناء . فالفى الشاطىء مهجوراً . ولكنه رأى سفينة كبيرة مقبلة . وما
لبثت أن اقتربت من الشاطىء ، وسمع جيمس صوتا مدويا : القوا الهلب !

وركض قلب جيمس بين ضلوعه . وصاح بأعلى صوته : رينجولد . رينجولد !

فهتف صديقه وهو يهبط إلى البر : جيمس ! صديقى جيمس !

وتقدم من وينتر وهو لا يكاد يملك نفسه من شدة سروره : هذا لقاء سعيد
ياجيم . لقد كنت أتوقع ألا أجد منك غير عظامك . فاذا بك أول من يستقبلنى فى
الميناء — حقا انك قاهر تابوجا الأوحد . !

فصحك جيمس وأجاب : على العكس . . لقد كنت أركض هربا من الطاردين
عندما سمعت طلقات مسدساتكم فى الميناء . لكن كيف عرفت أننى هنا ؟

— قابلت ثلاثة من الاسبانيين الهاربين على شاطىء بناما . ومنهم عرفت انهم
اشتبكوا مع قرصان تنطبق عليه أوصافك . وان هذا القرصان ركب البحر فى اتجاه
تابوجا . ولما كنت أعلم ألا أحد من رجالى غيرك يتوق الى الذهاب الى الجزيرة على عجل
فقد أيقنت أنك أبحرت اليها . . ولما كان مورجان قد سمع أن سفينة محملة بالنفائس
أبحرت فى نفس الاتجاه . فقد بعثنى على رأس حملة لطاردة السفينة الهاربة

— هذا من حسن الحظ يامارك . ثم جميلان أريد أن أسألك اياها

— أنت تعلم أني لا أرد لك طلبا . فاذكر حاجتك

— يوجد فى نهاية هذا الشارع منزل رسمت فوق بابه علامة معينة بحسامى منذ ساعتين . منزل الدون استودللو . وهو كهل نبيل أدين له بحياتى . اننى أريد الأمان له . فقاطعه رينجولد : انك تعرف أن رجالى كالذئاب

— ان الدون استودللو عم تريزا دى اكويليرا

— بالشيطان ! وكيف عرفت ذلك ؟ — أخبرتنى هى بذلك

— هل هى هنا ؟ وهل رأيتها ، وتحدثت اليها يا جيمس ؟

— رأيتها اليوم مرتين ، واليها أيضاً أدين بحياتى ، فهل ستحمى الكهل ؟

— أقسم أن أقتل كل من يرفع يده فى وجهه ، سأضع الحراسة اللازمة على منزله لكن حدثنى عن السنيورا تريزا ، أين يمكننى أن أعثر عليها يا صديق ؟

— سأذهب فى أثرها لأنقذ زوجتى ، فقط اعرنى بعض رجالك — زوجتك؟!

— بنيتا دى ريفادبو ، لقد تزوجتها منذ ساعة ، رغم أنف أنطوتيو دى بيرالتا

فصاح رينجولد : بيرالتا ! ؟ هل هو هنا ؟ — فى منزل بنيتا دى ريفاديو زوجتى ! — وهل ذهبت تريزا الى هناك ؟ — نعم ..

فوضع رينجولد صفارته فى فمه ، ونفخ فيها ثلاثا ، وفى التو أقبل عدد من القراصنة فقال رينجولد لصديقه : كم رجلا تريد ؟ — ستة فقط ، لكن يجب أن يكونوا مثالا للطاعة ، وعفة النفس . — لاتخش شيئا من ذلك ، فقد صادر مورجان أملاك بنيتا لأنها جزء من الثمن الذى اتفق مع بيرالتا عليه جزاء خيانته ، انتق رجالك يا جيم ، واذا تقابلت مع تريزا فقل لها اننى جئت الى تابوجا لأبحث عن خادمى المنتدى ! ولم يضيع جيمس دقيقة واحدة . فاختار الرجال الذين يحتاج اليهم ، بينما بعث رينجولد باربعة آخرين ليقوموا على حراسة منزل الدون استودللو .

وبعد ربع ساعة وصل جيمس ورجاله إلى منزل بنيتا ، ورأى ضوء ينبعث منه ، فاسرع عبر طريق النخيل ، فاذا السكون يضرب أطنابه عليه وأحس جيمس بالقلق يسرى الى نفسه ، وطرق الباب بقبض مسدسه ، ولكنه لم يتلق جوابا على طرقاته ، فأعاد الكرة ، ولكن دون جدوى ، فهم بنداء رجاله ليحطموا الباب ، بيد انه أيقن استحالة ذلك نظراً لأن الباب كان مصنوعا من البلوط السميك

وتذكر الباب الذى فر منه ، فنادى رجاله ، وأمر ثلاثة منهم بالبقاء للحراسة وعدم السماح لأحد بالخروج ، واستصحب الباقين معه ، ومضى الى الباب الخلفى ، فألفاه مغلقا ولكنه ما كاد يدير مقبضه حتى فتح ، وعندئذ نفذ الى الغرفة المظلمة ، وتلفت حوله ،

ولكنه لم يجد أحداً وأشار الى القراصنة ليتبعوه ، ومضى الى الكنيسة فألفاها هادئة كالقبور ، وعندئذ تملكه الخوف . كان الباب مفتوحا ، فأزاح الستار بحذر ، وحينئذ سمع أنة خافتة ، فزادت ضربات قلبه واستل حسامه ، وأطل الى الداخل ، وشد ما كانت دهشته حين رأى الأب بابلو جالسا فوق الارض والذعر مجسم في عينيه دلف جيمس الى الكنيسة . ورآه الكاهن . فراح يتمتم بكلام غير مفهوم من فرط ذعره . وأدار الشاب عينيه في أرجاء المكان. وقد ظن بادىء الأمر أن الكاهن وحيد . ولكنه مالبث أن رأى حذاء نسائيا يبرز من بين الأثاث المبعثر خلف باب الكنيسة . فتقدم نحوه على عجل . وما لبث أن صاح مأخوذاً :

— يا إلهي ! السنيورا تريزا ! ؟

كانت المرأة لاتزال مرتدية ثوب الرجال . وهي موثقة اليدين والقدمين . ومكممة الفم ، فأسرع جيمس وقطع الوثاق . وأنهضها على قدميها

وشرعت المرأة تزيل الكمامة وهي تزأر كالوحش الجريح . وحاولت أن تتكلم ولكنها أحست بألم شديد في حلقها ، فوضعت يدها فوق فمها ، وعندئذ أدرك جيمس ماتعانيه ، فهرول الى المذبح حيث التقط كأس النبيذ المقدس ، وقدمها للمرأة غير عابىء بنظرة السخط والاستنكار التي رماها به الكاهن

وجرعت السنيورا تريزا الكأس دفعة واحدة ، ثم حركت لسانها عدة مرات وأخيراً استطاعت الكلام ، قالت : لقد جئت الى هنا سراً ، ووقفت خلف الباب ، وأخذت أراقب مايحدث من وراء الستار ، رأيت بنيتا وبيرالتا ، وكان الرجل ثائراً يلعن رجاله لأنهم أخفقوا في القبض عليك ، ثم حاول أن يرغم بابلو على عقد قرانه على بنيتا وهدده بالموت ان لم يذعن لارادته . وكان الكاهن قد رفض في بادىء الأمر ولكنه أعرب عن استعداده لعقد القران إذا وثق من موتك ، فقال بيرالتا انك لاقيت حتفك ، وانه تلقى نبأ بهذا المعنى منذ عدة دقائق ، وما كادت بنيتا تسمع ذلك حتى أخفت وجهها بين يديها ، وأخذت في البكاء ، وعندئذ راح بيرالتا يواسيها ، ويتظاهر بالرثاء لها ، ولست أكتمك انني بدأت أرتاب في الأمر ، ولولا انني كنت واثقة من أنك لاتزال على قيد الحياة لاعتقدت بصحة ادعاء الشيطان

فاستولى الذعر على قلب جيمس ، والتفت الى بابلو ، وصاح بحدة :

— وهل عقدت له عليها ؟ فاجفل الكاهن ، وقال بفزع :

— كلا ، كلا ، لقد طالبت باستدعاء الرجل الذي حمل النبأ لأستجوبه قبل أن أعقد له على الفتاة ، فقال اللعين انه سيذهب لاستدعائه ، ولا ريب أنه كان يرمي الى خداعي بأن يجعل أحد رجاله يتبجح بقصة ملفقة ، ولما انصرف من الغرفة . .

فقاطعته السنيورا تريزا ضاحكة : وجدنى خلف البـاب !؟ لو أنك رأيته فى تلك اللحظة ياصديق ؟ لقد حسبنى أنت بادىء الأمر فثبت فى مكانه كأنما رأى الشيطان . ولـكنه مالبث أن صاح : ياللشياطين !

ثم استل حسامه ، وعندئذ ضحكت فى وجهه ، وقلت له : هل تقتل سيدة ياسنيور؟

فأجفل ، وراح يحملق فى وجهى من جديد ، ولما عرفنى صاح بلهفة :

— أهذه أنت ياسنيورا اكويليرا ؟ ماذا عساك تفعلين هنا ؟

فضحكت ، ومرقت من جانبه الى الـكنيسة ، ثم قلت له أمام بنيتا :

— سمعتك تقول ان السنيور وينتر قد مات ، ولـكنى أؤكد لك كذب هـذا النبأ ، فهو لايزال على قيد الحياة ، وقد كنت معه منذ بضع دقائق ، وحدثنى بنبأ زواجه فزمجر بيرالتا : إنك تـكذبين أيتها الافعى !! وصاحت بنيتا : أحق ماتقولين ياتريزا ؟ وهنا قال الأب بابلو : كان الموقف عصيبا ، فقد كان الرجل قاب قوسين أو أدنى من بلوغ مأربه لولا تدخلك أيتها السيدة الباسلة

واستطردت تريزا : ولقد أثار قولى ثائرته فلطمنى فوق فمى ، فسقطت فوق قطع الأثاث المبعثرة وأنا أكاد أفقد الرشد وفى اللحظة التالية انقض على اثنان من أعوانه ، وشدا وثاقى ، فرحت أقاومهما عبثا ، وكان بيرالتا قد حمل بنيتا فوق كتفه وانصرف بها فى تلك الأثناء ، وبعد برهـــة سمعت عجلات مركبة تبتعد عن المنزل ، فادركت أنهما رحلا ! فصاح وينتر بيأس : لـكن إلى أين ذهب بها ؟

وقبل ان تجيبـه تريزا على سؤاله ، ارتفع من الردهـة صوت وقع أقدام شخص يتعثر فى سيره ، فالتفت جيمس الى زملائه القراصنة وأمرهم باحضار هذا الشخص

الفصل الثالث والعشرون

عاد القراصنة بعد دقائق ، وهم يدفعون أمامهـم الزنجى العملاق سيزار ، وكان الرجل ينتفض من فرط الخوف ، وأجال بصره فى أرجاء الـكنيسة ، ولما وقعت عيناه على جيمس أجفل ، وابتدره وينتر متسائلا : أين سيدك ؟

فهز سيزار رأسه الغليظ سلبا ، وغمغم : لا . . لا أعلم

— ولـكنك كنت تعلم خطته عند ماجئت معه الليلة الى هنا ؟

فومضت فى عينى الزنجى نظرة ارتياب ، ثم قال :

— نعم ياسنيور ، كان يعتزم الزواج من السنيوريتا ريفاديو

فقال جيمس وهو يراقبه عن كثب : ثم ماذا ، والى اين ذهب — لااعلم ياسنيور

فنظر اليه جيمس نظرة ذات مغزى ، ثم قال : انت تـكذب

فراح الزنجى يؤكد انه لم يقل غير الصدق ، فاسكته جيمس باشارة من يده ، والتفت الى احد القراصنة ، وامره باستدعاء باقى الزملاء المنتظرين عند الباب الخارجى فنمت عينا سيزار عن قلقه ، فأدرك وينتر ان الزنجى قد يبوح بما يعرف تحت تأثير التهديد ، فانتظر حتى عاد القرصان برفاقه ، ثم قال للزنجى بلهجة ذات مغزى :

— والآن ، هل ستتكلم ؟ — ليس لدى مااقوله ياسنيور

فالتفت جيمس الى احد القراصنة ، وقال له بالاسبانية : أتعرف كيف تستعمل اعواد الثقاب ؟ — وكيف امزق لحم الرأس ؟

— اذن فهيىء الثقاب ، والحبل فاخرج القرصان هذه الادوات من جيبه واشار اليه جيمس ليتقدم من سيزار ،وعندئذ صاح الزنجى بهلع : سأتكلم ياسنيور فابتسم وينتر ، واشار الى القرصان بالتريث

واردف سيزار : كان سيدى سيذهب بعد زواجه من السنيوريتا بنيتا الى سان جوان ولهذا احتفظ بسفينة صغيرة فى الناحية الاخرى من الجزيرة !

فصاح جيمس بقلق : ياالهى! لاريب انهما فى عرض البحر الآن

— لااعلم ياسنيور ، فانى لم ار السنيور بيرالتا منذ لطمتنى فوق رأسى وافقدتنى الرشد — وهل تعلم موضع السفينة بالضبط ؟ هل تستطيع ان تذهب بى الى هناك فى الظلام اذا وهبتك الحياة ؟ فقال سيزار بارتياح : نعم ياسنيور

— اذن فسنذهب من فورنا

وامر وينتر احد القراصنة بفك وثاق الكاهن ، ثم تحول الى تريزا وقال لها :

— عندى رسالة لك من شخص تعرفينه .. — احقا ؟

— لقد جاء الى تابوجا منذ ساعة ليبحث عن خادمه الهندى

فقالت المرأة بغير اكتراث : اذن فليبحث عنه ، فقد يعثر عليه ، واما انا فسأذهب معك للبحث عن بيرالتا لاثار منه للاهانة الجديدة التى الحقها بى الليلة

— على رسلك ياسنيورا وبعد ساعة وصلا الى بقعة معينة من الشاطىء فتوقف سيزار عن السير ثم قال : لقد كانت السفينة ترسو هنا ! !

فألق وينتر بصره على طول الشاطىء . . ثم شهق من صدر مكلوم . وهتف :

— لقد أبحرت ! وعندئذ أحس بيد توضع فوق كتفه . وسمع صوت تريزا وهى تقول : ماذا ستفعل ياسنيور وينتر ؟ — سأبحر فى أثرهما الى سان جوان . — ولكن ذلك مستحيل الليلة . . فغدا ..؟ .

— غدا ؟ ! ربما أصل متأخرا . ومع ذلك فسأذهب الى هناك وأرسل بروح بيرالتا السوداء الى جهنم .

الفصل الرابع والعشرون

في غرفة من غرفات السفينة التي أعدها بيرالتا للفرار عند الحاجة .. وقف الشيطان تلقاء بيتا .. وساعداه معقودان على صدره . والابتسامة الشيطانية تتلاعب على شفتيه قالت له ساخرة : اذن فهذا مارميت اليه من قولك ان ثم سبيلا آخر ؟

فاجاب بيرالتا : تماما ! إذا كنت قد اخترت قرصانا سفاكا .. فانه لن يضيرك أن تقبلي ملككهم خليلا . — هذا اذا تنكرت لزوجي .

— انه لم يكن زواجا .. ولكنه فصل من رواية تمثيلية مضحكة لا تقيم له الكنيسة وزنا فقالت غير عابئة بقوله : اذن فأنت تهددني بانك ستدفع بي الى براثن الاميرال مورجان اذا لم أتنكر لزواجي ؟

فضحك بيرالتا ضحكة جهنمية : نعم ، وسأظن انه سيرحب بك أجمل ترحيب .. انك لاتعرفين هنري مورجان . هو من المولعين بالجمال .. ولا ريب انه سيجعل منك ملكة على بناما . حتى اذا خمدت حرارة حبه .. قذف بك الى ذراعي من يطمع فيك .. أو لعله يبيعك بالمزاد لأحد رجاله . فتصبحي ملهاة للقراصنة .. ولكني مع ذلك مازلت أعرض عليك حمايتي . وحبي ! — أحقا ؟

— يخيل الى انك متلهفة على معرفة خطتي .. حسنا ، اصغي الى اذن . سأذهب بك الى هنري مورجان .. وهو كما قلت لك رجل مغرم بالجمال .. ولا ريب أن القرصان اللعين جيمس ويتر سيسمع بالنبأ . فيذهب لمقابلة الاميرال ليناقشه الحساب .. والمأثور عن ملك القرصان انه لايقبل تحديا من مرؤوس . فيأمر بشنق المتمرد .. وعندئذ تصبحين أرملة .. واتقدم إلى هنري مورجان قبل رحيله عن بناما .. واقنعه بأن يسمح لي بان أكون لك معزيا عن بلوائك فانتفضت الفتاة .. وصاحت :

— يا لك من وغد زنيم ، ان الافعى التي تتمرغ في التراب انقى منك

فهز الشيطان كتفيه استخفافا وأجاب : الغاية تبرر الواسطة ، فأما ان تتزوجيني غدا في سان جوان . أو اذهب بك إلى ملك القراصنة . على ان استعيدك في المستقبل القريب رغم انفك ، فأى الطريقين تختارين ؟

اطرقت الفتاة برأسها ، وراحت تفكر في أمرها

خيل اليها أنها لو سردت قصتها على هنري مورجان ، فقد تأخذه الشفقة بها ، خصوصا حين يعلم بأنها زوجة أحد رجاله ، ومن ثم يأمر باعادتها إلى زوجها

ورأى بيرالتا تردد الفتاة ، وظن انها عدلت عن رأيها الأول من عدم الزواج منه ، فسألها : ماذا قررت ؟ ! فواجهته بعينين متقدتين ، وقالت ببرود :

— اذهب بي إلى بناما — إلى هنري مورجان ! !

فثارت ثائرة الرجل ، وصاح بصوت كالرعد : الا لعنة الله عليك ! سأذهب بك إلى هنري مورجان ، ولكن ثق أنك ستأتين الى فيما بعد ، وتسأليني الصفح ، ولكن بعد ان تكونى قد تلطخت بالأوحال وغادر القمرة وهو يرغي ويزبد

« * »

كان الوقت ظهراً في تابوجا . . وفي شرفة أحد المنازل التى احتلها القراصنة . . كان مارك رينجولد يروح ويغدو . . وهو ثائر مهتاج . . ينظر إلى الكابتن سيرلز ربان السفينة التى نقلت القراصنة إلى تابوجا بعينين يتطاير منهما الشرر .

ولا عجب . . فقد افرط الربان في الشراب حتى فقد وعيه . . في حين كان ينبغي ان يركب البحر ويطارد السفينة تريتني التى حملها اعيان وكبار رجال بناما باموالهم وكنوزهم وبعثوا بها إلى مكان مجهول . .

وحاول رينجولد عبثا أن يرد الربان إلى وعيه . . فلما ضاق به ذرعا . . نادى احدى خادمات الدار . . وأمرها ان تأتيه بجرة مملوءة .

وعادت الفتاة بعد لحظات بالجرة . . فتناولها رينجولد من يدها . . وسكبها فوق رأس الربان . . فحرك هذا رأسه يمينا ويساراً . . ثم عاد إلى النوم .

وصاح رينجولد بالفتاة لتملأ الجرة مرة أخرى . . ثم قال يناجي نفسه :

— ألا تبا لهذه الخمر الاسبانية القوية . . إن هذا اللعين . . . .

ولكنه كف فجأة عن الكلام . . إذ رأى رجلا يرتدى ثيابا غريبة يتقدم نحوه في هدوء وبخطوات متزنة . . وما كاد القادم يقترب من رينجولد حتى هتف هذا مأخوذا :

— يا الهي ! هذى أرملتى الصغيرة ! تريزا . . ماذا . . . .

فضحكت تريزا دى اكويليرا .. وقالت : لقد أبلغت رسالة مؤداها انك تبحث عن غلام كان يقوم على خدمتك .. لكن يا الهي .. ماهذا . . ؟

— سكير أحمق . . فقد رأسه بفعل الخمر . . بينما الواجب يناديه

فضحكت المرأة . . وقالت مغيرة مجرى الحديث : لقد جئت اسألك جميلا ياسنيور رينجولد — مرى تجابى فورا . .

— أريد رسالة الى السير هنري مورجان . . وقاربا يذهب بي اليه

— انت ؟ يا الهي ! كلا . . ! انك لاتعرفين هنري مورجان

— أرجو ان أكتسب صداقته .. ثم انني لست خائفة

فسألها رينجولد بحدة : ولماذا تريدين مقابلته ؟

— من أجل أحد اصدقائك وأصدقائي أيضا فصاح : أهو جيمس وينتر ؟

رواية العدد القادم

الذى يصدر يوم الاحد ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٠

عودة الزوج

رواية اخلاقية اجتماعية رائعة الحوادث

بقلم الكاتب الفرنسى الكبير

الفونس دوديه

مؤلف رواية (سافو)

تعريب الكاتب المعروف

الأستاذ يوسف جوهر

— وزوجته بنيتا . انك لاتعرف ماحدث . . ولكني سأقص عليك كل شيء
وحدثته بالقصة بحذافيرها . . وعندئذ صاح مغضبا : ياللوغد الخائن ؟ !

— لقد أبحر السنيور وينتر الى سان جوان مع اثنين من الزنوج لكي يبحث عنه ويقتله . . ولكن خطر لي بعد رحيله ان انطونيو بيرالتا قد لايذهب الى سان جوان مطلقا .. فاذا كان حقا انه متآمر مع زعيمك هنري مورجان ، فلا ريب انه في طريقه الى بناما . . ومن ثم عولت على الاتصال بالاميرال لأسأله المعونة

— تعنين انك عولت على وضع رأسك بين فكي الأسد ! ! كلا ! ! لن أعطيك الرسالة . . انك لاتعرفين هنري مورجان . . انه تبع نساء !

— واذا قلت له اني زوجة مساعده رينجولد .. — هذا ليس بصحيح

فضربت الأرض بقدمها . . وصاحت : يالك من مغفل ! ألا يمكنك تحقيق ذلك ؟

فصاح رينجولد بفرح غامر : نعم .. نعم يا أجمل النساء . . . . — اعني مؤقتا

— سأعطيك الرسالة لهنري مورجان . . وأزودك بقارب ورجالين . .

((*))

وبعد ساعتين . . هبطت تريزا الى البر في بناما . . ومضت من فورها الى المنزل الذي اختاره هنري مورجان لاقامته . . وعندما غادرت الدار كان وجهها شديد الاحمرار .. ذلك ان هنري مورجان التزم الصراحة في حديثه .. واستولى على الثمن . .

وعادت تريزا الى المرفأ .. وأخذت تتسكع فوق الشاطيء

وفجأة . . أبصرت سفينة فاخرة مقبلة نحو الشاطيء . . فلما رست أمامه . . هبط منها عدوها اللدود انطونيو بيرالتا . . ومضى الى المدينة .. ثم عاد بعد دقائق ومعه محفة . . وصعد الى السفينة . . وبقي فيها قليلا . . ثم هبط الى الشاطيء وبرفقته بنيتا التي استقلت المحفة . . وثار فضول تريزا . . فتبعتهما عن كثب حتى وصلا الى منزل السير هنري مورجان ووقفت تريزا على مبعدة وهي تراقب باب الدار . .

وبعد قليل رأت بيرالتا يغادر المنزل منفردا .. فاجهم وجهها . . وبدت عليها دلائل الحنق كانت تعلم ان مورجان تبع نساء . . وانه انفرد ببنيتا الزهرة النضرة !!

وتولاها السخط . . فتقدمت من بابه منزل السير هنري . . وحاولت الدخول . ولكن الحارس منعها . . ولم يفلح معه تهديد أو استعطاف

سقط في يدها . . وذهبت بها الريبة كل مذهب . فانتفضت . . ورفعت عينيها الى نوافذ الدار .. فرأت الضوء ينبعث من بعضها . . فتلفتت خلفها . . فرأت منزلا خاليا مكونا من أربع طبقات . . وعندئذ خطر لها أن تصعد الى الطابق الثاني . وتطل من إحدى نوافذه المقابلة للغرف التي يقيم بها الاميرال فقد تتمكن من رؤية مايدور بداخلها

ولم تتوان فى إنفاذ هذا الخاطر .. وما كادت ترى مايجرى بداخل غرفة الاميرال حتى جمدت فى مكانها مأخوذة

الفصل الخامس والعشرون

كانت الغرفة التى رأتها السنيورا شديدة الضوء . ثمينة الرياش .. تتوسطها مائدة صفت فوقها صحاف الطعام المصنوعة من الفضة .. والكؤوس الذهبية

وقد جلست بنيتا دى ريفاديو الى هذه المائدة . . ممتقعة الوجه . . ولكن ثابتة الجنان . . وكانت تنظر أمامها متجاهلة وجود رفيقها فى الغرفة . . هنرى مورجان

وكان ملك القراصنة يملأ للفتاة كأسا من الخمر . وهو يطيل النظر الى وجهها الجميل فانسكبت الخمر فوق المائدة . وعندئذ انفجر ضاحكا . وتقدم من احدى الستائر الحريرية التى كانت تزين النوافذ . وانتزعها من مكانها . وجفف بها الخمر التى انسكبت ثم قذف بالستار فى أحد أركان الغرفة . ورفع الكأس . ونظر الى الفتاة نظرة فاحصة فادركت تريزا انه يحاول أن يقنعها بأمر معين كانت تنفر منه . فقد كانت الفتاة جامدة فى مجلسها . تنظر الى الفضاء بجمود وهدوء . وتتجنب النظر الى وجهه .

وانحنى لها السير هنرى مورجان انحناءة خفيفة . ثم احتسى الكأس . ووضعها فوق المائدة . واقترب من الفتاة ووضع يده الغليظة فوق كتفها الرقيقة . وانتفضت الفتاة ولكنها ظلت على جمودها . وشرود نظراتها . فأحست تريزا بالألم يمزق قلبها . وهتفت من بين أسنانها : يا للخنزير ! انه يحاول . . وأمسكت فجأة . . إذ سمعت صوتا خافتا ينبعث من أسفل المنزل . أعقبه وقع أقدام ترتقى الدرج . فأسرعت وتوارت خلف الباب لتتمكن من التسلل بسرعة فيما إذا دخل القادم إلى الغرفة .

وبعد هنيهة .. أجفلت .. وتملكها الغضب . كان الصوت صوت بيرالتا . ولكنها تمالكت رباطة جأشها . والتصقت بالجدار وفى اللحظة التالية دخل بيرالتا الى الغرفة . وتقدم من النافذة . وراح يراقب مايدور فى غرفة هنرى مورجان.

ثم غمغم بصوت خافت : انها تتمنع . ولكن ماذا يفيد التمنع . وهو لابد أن يتلاشى تحت وطأة الضغط ! وضحك ضحكة شيطانية.ولم تستطع تريزا أن تكبت غضبها فصاحت بحدة من مخبئها : أيها الوغد الزنيم ! ولكنها أدركت انها ارتكبت خطأ عظيما . فقد استدار بيرالتا على عقبيه كالملسوع .. وصاح :

— يا لجهنم . ! من .. ؟ وأخرج مسدسه من منطقته . فتبينت المرأة مدى الخطر الداهم الذى يتهددها . وتسللت بهدوء وحذر . حتى وصلت الى الدرج . فهبطته قفزاً . ولكنها ما كادت تصل إلى نهايته . حتى سمعت صوت طلق نارى . ومرت

الرصاصة بجانب أذنها . ولكنها لم تصبها وتعقبها بيرالتا إلى الشارع . بيد أنها كانت قد تمكنت من الوصول الى نهايته وانعطفت الى اليمين . وغابت عن الانظار .

وفى تلك الاثناء كان السير هنرى مورجان يحاول جاهدا أن يخرج بنيتا عن صمتها متذرعا باللين والاغراء . قال لها مداعبا : الاتتكلمين ايتها الزهرة الجميلة ؟

وانحنى قليلا . حتى كاد وجهه البدين يلتصق بوجهها الجميل الرقيق . . فانتفضت الفتاة وصعد الدم الى وجهها . . ثم غاض وخلفه شديد الاصفرار . .

ولاحظ مورجان ماعرا وجهها . فقال محاورا : اذن فلنتصادق على قرع الكؤوس ! ولكنها استمدت من يأسها شجاعة . . ودفعت الكأس التى قدمها اليها بعيدا عنها . . وصاحت : كلا ! انى افضل الموت على الاستسلام

فضحك القرصان ضحكة جوفاء . . وصاح : أحقا ؟ تعالى اذن الى النافذة ياسيدتى لترى بعينيك الجواب على عنادك فلم تتحرك بنيتا . فاستطرد مورجان :

— هل ستأتين . . ام احملك ؟

فاضطرت المسكينة الى النهوض . . وتقدمت من النافذة بخطى متثاقلة وهى تنتفض من فرط الجزع والذعر . . واشار القرصان الى نار مشبوبة على البعد . . ورأت الفتاة على ضوئها رجالا مصلوبين على جذوع الاشجار والنار تلتهمهم . . فانت انينا موجعا . . واخفت عينيها بيديها . . قال مورجان :

— ان رجالى ذئاب مفترسة . . وهم لايتورعون عن ارتكاب اى موبقة للحصول على الذهب الوهاج . . ارأيت ماذا يفعلون ليرغموا اصحاب الكنوز على الكلام ؟ !

وضحك ضحكة جهنمية . . وتقدم من الفتاة . . وقال :

— وهم ايضا لايستنكفون تعذيب النساء اذا تمنعن . .

وبسط يده اليها . . فانكمشت رعبا . . وراحت تتلفت حولها بقنوط . عز عليها المخرج . وأدركت ألا أمل لها فى التخلص من هذا الموقف المؤلم بغير المسدس المعلق فى منطقة القرصان . ولكن كيف السبيل للحصول عليه ؟

وأنزل مورجان يده الى جانبه . وقال : أما زلت تصرين على التمنع ياسيدتى ؟ ألم ترى كيف يعامل رجالى أصحاب الكنوز .

فقالت الفتاة وهى تنتفض : خذ كل شىء . فقط دعنى أذهب .

فضحك هنرى مورجان . وقال : وهل آخذ ماهو ملكى ؟ أتريدين أن تشترى نفسك بلا شىء . ثم هل تظنين أن الذهب يغرينى ؟ كلا ياسنيوريتا . تعالى لاريك أن مثل هذا الاغراء لايحرك شهيتى الى الذهب على الاطلاق .

وعبر الغرفة بخطى وئيدة . فخطر للفتاة أن تثب من النافذة وتضع حداً لعذابها

الذى لا يحتمل ، ولكنه نظر اليها نظرة صارمة . وصاح بحدة : تعالى ياسيدتى !

فاضطرت الى الاذعان . وأزاح مورجان ستارا فانكشف عن صندوق كبير .

وانحنى فوق الصندوق . وفتح القفل . ثم رفع الغطاء . وفى التو انبعث بريق خطف بصر الفتاة . كان الصندوق محشوا بمختلف أنواع الجواهر واللآلىء

ولم تتمالك الفتاة من الاعجاب بهذه المجموعة الفريدة .

وخيل الى مورجان لما اعترى الفتاة من تبلد لمرأى الجواهر . . انها كسائر النساء تلعب الجواهر بالبابهن . فمال فوق الصندوق وملأ يده منها . ثم بسطها . فأخذت القطع المختلفة تتساقط فى الصندوق وهو تشع ببريق يخلب اللب .

وضحك ضحكة رقيقة . ثم قال : هذه أولى ثمرات بناماياصغيرتى . وغدا تتضاعف

ودس يده مرة أخرى فى الصندوق وكرر العملية الأولى وهو يراقب وجه الفتاة ولكن خاب أمله فان بنيتا كانت قد استعادت جأشها . وراحت تنظر الى الجواهر بغير اكتراث وضاق مورجان بجمودها ذرعا .. ولكنه كظم غيظه . . ثم ملأ قبضته من الصندوق.. وأرغم الفتاة على بسط يديها وأفرغ فيهما الجواهر . ثم قال :

— انظرى ياسنيوريتا . هذا ثمن حبك .

فاندفع الدم إلى وجنتى الفتاة . وتملكها الغضب . فألقت بالجواهر فى الصندوق . فلم يتمالك مورجان من النظر اليها باعجاب . وقال متجاهلا معنى فعلتها : اعترف بانى لم استطع تقديرك حق قدرك ياسيدتى . حسنا . إن الصندوق عميق وفى استطاعتك أن تنتقى كل ما يروقك . فمثلا هذا العقد . .

والتقط عقداً من اللؤلؤ . . ثم تقدم منها . ليضعه حول عنقها . وعندئذ ، وبحركة سريعة خاطفة ، انتزعت الفتاة المسدس من منطقته . ثم تراجعت نحو المائدة . . وسددت المسدس الى قلبها . . فصاح مورجان بحدة : يا الهى ؟ كونى على حذر ياسنيوريتا ؟ إن الزناد خفيف . وأية لمسة بسيطة قد تشعل البارود .

فرمقته بنيتا بنظرة ساخرة . وتلاشت من وجهها علامات الخوف . . وحلت محلها سمات العناد والاصرار . . فاخذ القرصان .. وأدرك أن اليأس قد يدفعها الى الانتحار فراح يلعن نفسه لحماقته . . وما لبث أن قهقه ضاحكا . وهتف : لقد كسبت المعركة ياسنيوريتا ؟ اخفضى المسدس . انى أيقنت الآن فقط انى لا أستطيع شراءك ؟ أقسم بكل ماهو مقدس ألا أرغمك على شىء تأباه نفسك . . ولكنى أقسم أيضا أن أظفر بحبك ولو كان قلبك من الثلج ؟

ثم تقدم من المائدة . . وملأ قدحا من الخمر . ورفعه قائلا : هذا نخب أشجع سيدة فى الوجود ! وجرع الكأس .. ثم التقط صليبا من صندوق الجواهر . وقال :

— أقسم بهذا الرمز المقدس ألا أمس شعرة واحدة من رأسك ياسنيوريتا .
فاخفضى المسدس . . واحتفظى به لنفسك إذا كنت لاتثقين بكلمتى .

فالقت الفتاة بالمسدس فوق الارض . . وتهالكت فوق أحد المقاعد . وراحت تبتهل الى المولى شاكرة

الفصل السادس والعشرون

بعد مضى اسبوع على هذه الحوادث عاد جيمس وينتر الى تابوجا . ودلائل الاعياء والألم تبدو على وجهه الشاحب . .

وراح يبحث عن صديقه رينجولد حتى التقى به . . وكان يتهيأ للابحار الى بناما

وما كاد رينجولد يرى صديقه على هذه الحالة التعسة حتى صاح مبهوتا :

— يا الهى ! لاريب انك مريض ياصديقى جيمس ! فقال جيمس بحزن :

— انى مريض بعقلى وقلبى ياصديقى . . ألم تسمع شيئا عن بنيتا

— كلا ياصديقى . . ألم تعثر عليها ؟

— كلا يامارك . . يخيل الى أن بيرالتا قد اختفى من عالم الوجود

فقال رينجولد بهدوء : كلا ياجيم . فصاح جيمس بلهفة : هل هو هنا ؟

— كلا ليس هنا . . ولكنه فى بناما . . لقد أبلغتنى تريزا ذلك أمس

— اذن فسأذهب الى بناما فى التو لأرغمه على الافضاء الى بما حدث لبنيتا . . ثم اقتله كالكلب . . فاينما يكن تكن زوجتى . .

فراح رينجولد يذرع الغرفة جيئة وذهابا . . وهو مستغرق فى التأمل . . وأخيرا واجه صديقه وقال برفق : اصغ الى ياصديقى . . لو انى كنت فى مثل موقفك لقتلت هنرى مورجان أولا — مورجان ؟

نطق جيمس بهذه الكلمات بصوت متهدج ، ولكنه يحمل فى ثناياه رنة الفهم والادراك . . وأومأ رينجولد برأسه . . وقال : أنت تعرف مورجان . ! رجل يعبد الجمال . . ولا يتورع عن سفك الدم فى سبيل حسناء تستهوى فؤاده . . لقد بلغنى انه اتخذ لنفسه عشيقة جديدة . . امرأة من نساء تابوجا . . انها فى الوقت الحاضر ملكة بناما . . لايجرؤ كلب منا على التطلع اليها . . وقد حاول أحد الحمقى أن يتقرب اليها فكان جزاؤه الضرب بالسياط علنا . . انها تجلس الى مائدة مورجان وحول جيدها عقد من اللؤلؤ النادر . — يا الهى ! لست أصدق انك تعنى بالمرأة بنيتا !

— ان الوصف ينطبق عليها ياجيمس ! هذا كل ماأستطيع أن أقوله لك ياصديقى ولو انى علم الله كنت أرجو أن أحمل اليك نبأ خيرا من ذلك ! انى ذاهب الى بناما بعد

ساعة فهل ترغب فى مرافقتى ؟ — وهل فى ذلك ريب ؟

— واذا تحققت من صدق الاشاعة ؟

— سأقتل النذل ابن عمى اولا .. لأنه أس البلاء كله

— وماذا بشأن هنرى مورجان ؟ — سأصفعه فوق وجهه جزاء نذالته .. ثم أدعوه للمبارزة — سيأمر بشنقك ياجيمس

— سيموت قبل أن يصدر مثل هذا الأمر .. سأظفر به وهو منفرد

فهز رينجولد رأسه عدة مرات .. ثم قال ببطء : حسنا .. ان من كان فى مثل موقفك لا يستطيع ان يفعل غير ذلك ! إنك بحاجة إلى صديق يحرس لك باب الغرفة أثناء المبارزة — وسأكون أنا ذلك الرجل !

وبعد غروب الشمس بساعتين كان الصديقان قد وصلا الى بناما .. وراحا يشقان طريقهما بين الجماهير المزدحمة فى الطرقات ، حتى بلغا المنزل الذى يقيم فيه هنرى مورجان

وكان الضوء ينبعث من نوافذ المنزل كلها .. وأنغام الموسيقى تتصاعد من الداخل .. فاطل جيمس من إحدى نوافذ الطابق الأول .. وما لبث أن تراجع عنها وهو يئن أنينا موجعا .. ثم هتف بأسى : ألا لعنة الله على هذا الشيطان !

وأطل رينجولد من النافذة بدوره .. ثم صفر بشفتيه مشدوها

رأى مائدة مستطيلة .. يجلس حولهـــا عشرة من كبار القواد الذين يعملون تحت إمرة مورجان وهم يتناولون طعام العشاء مع زعيمهم .. وعدد من النساء الجميلات .. بينا جلست بنيتا عن يمين مورجان تزين شعرها الاسود لؤلؤة نادرة .. ويحيط بعنقها عقد من الجواهر الفريدة .. وغمغم رينجولد : لاريب ان مورجان سيلاقى حتفه الآن لو صح تقديرى للرجال ! وكان جيمس قد هرول الى الباب حيث اعترض سبيله قرصان عملاق .. فأسرع رينجولد يوضح للحارس طبيعة زيارتهما . وعنـــدئذ وقع بصره على سيدة كانت تقف فى الردهة .. وما كادت تراه حتى ضحكت .. وأسرعت الى الداخل فهتف رينجولد مأخوذا : تريزا !! ياإلهى !! ان الأمر شديد الغموض ..

وتحول الى صديقه .. واستطرد : كن جريئا مع هنرى مورجان حتى تنتزع منه الحقيقة ياجيمس .. ولا تخدعنك الظواهر ..

وفى تلك اللحظة عاد الحارس من الداخل وسمح لهما بالدخول

الفصل السابع والعشرون

هتف رينجولد وهو يقبض على ذراع صديقه : بالله عليك لا تتسرع يا جيمس .. !

وفى اللحظة نفسها .. تحول ملك القراصنة ونظر اليهما بعينين متألقتين ، ترتسم

فيهما نظرة غريبة . . ثم قال : آه ! هذا أنت يا مارك .. لماذا تأخرت عن الوليمة ؟!
لكن يا الهي ! ماذا أصاب صديقك ؟ . وأجاب رينجولد بجفاء : خير لك أن تسأله
كانت بنيتا قد وثبت واقفة عندما رأت جيمس . . والحالة المؤلمة التي كان عليها .
بينا راح الشاب ينظر اليها نظرة تفيض ريبة وأسى . . ولكنه ما كاد يرى نور
السرور يتألق في عينيها حتى أدرك انه كان متعسفا في الحكم عليها .

صاح مورجان : ماذا دهاك يارجل ؟ ! ليخيل إلى انك توشك ان تقترف جريمة
قتل ! فضحك جيمس . . وعندئذ ترك رينجولد ذراعه . . وأجاب الشاب :

— لا شيء يا سيدي . ! كنت أشعر ببعض الضيق . ولكن دوائي بجانبك .

فادار مورجان بصره حوله وما كاد يرى السرور مجسما في عيني بنيتا حتى صاح :

— يا الهي يا سيدتي؟! ماشأن هذا الرجل بك ؟ فاجابت فورا : انه زوجي !

— آها ! يبدو انك سعيدة برؤيته .

فاجابت ضاحكة : بغير شك ياسيدي

فقال مورجان وهو يشير بيده إلى مقعد عن يساره : تقدم أيها الزوج واجلس
بجانبي لنتحدث . ودفع رينجولد صديقه نحو المقعد دفعا . . وبحث لنفسه عن
مكان خال . وعاد ملك القرصان يسأل جيمس : من اين أنت قادم الآن ياصديق ؟

— من رحلة طويلة للبحث عن زوجتي يا سيدي

فضحك مورجان وقال : لعمري انكما مثل صادق للاخلاص . . فان كنوز بناما
بأجمعها لم تكف لأن تسلبك حب زوجتك التي ظفرت بها رغم انف عدوك اللدود .

فهم جيمس بالكلام . . ولكن مورجان قاطعه قائلا :

— أذكر انك جئتني في بورت رويال للبحث عن رجل معين

— بل وغد زنيم — هذا صحيح . لكن ما الفائدة . لقد سبقك الرجل
فوعدته بالفتاة دون أن أعرفها . .

— انها لم تكن ملك يمينك لتهبها

— وهذا صحيح أيضاً . ولكن بناما كلها ملكي اليوم .

— ماعدا زوجتي ياسيدي ! فقال مورجان بشيء من الحدة :

— لست واثقا من ذلك . . لقد وعدت . — ولكنك وعدت خائنا

— ليكن . وعد الحر دين عليه — وهذه السيدة كانت جزء من الصفقة

— يجب الرجوع في الصفقة الآن . .

— أحقا ؟ ، لا أظن ذلك . ان هذه السيدة — كباقي جواهر بناما — غنائم
حرب . وليس لرجل من رجالي أن يستولى على شيء منها لنفسه .

مهما يكن . فقد وعدت بيرالتا بان أهبه هذه السيدة . ولكنك اغتصبتها بالقوة . ولن أتمكن من الوفاء إلا إذا أصبحت أرملة . . . ياإلهى ! يجب أن أجازف كيلا يقال ان هنرى مورجان حنث بوعده . فهل فهمت ؟

فقال جيمس بهدوء : اذا كنت تقصد أن يكون الحسام حكماً بينى وبين الوغد فانى على استعداد لمنازلته .

— هذا ماأرمى اليه .

وأشار مورجان الى أحد رجاله . وفى التو فتح أحد أبواب الغرفة . ونفذت منه امرأة .

فصاح رينجولد مشدوها :

— تريزا ! ! وبيرالتا ! لعمرى انى على استعداد لأن أدفع عشرة جنيهات لأعرف الدور الذى قامت به فى هذه المأساة !

فضحك مورجان . وقال :

— لقد كان لها القدح المعلى ! فهى التى حدثتنى بكل شىء برغم أن بيرالتا كان يجهل ذلك . وهى أيضاالتى هيأت هذا اللقاء . تقدم ياسنيور بيرالتا

وبخطى متعثرة تقدم بيرالتا بضع خطوات . ولكنه ما كاد يرى جيمس حتى أجفل . وتبلجت له الحقيقة وجمد فى مكانه . وراح ينظر الى الباب . كأنما خطر له أن يلوذ بالفرار . ولكنه الفاه مغلقا . وقد وقف خلفه عملاقان يمتشقان سيفين مجردين .

وقال مورجان:

— تقدم ياسنيور . . سيتقرر مصيرك فى هذه الغرفة لا خارجها

فامتقع وجه بيرالتا . . واستطرد مورجان بغضب : منذ بضعة أسابيع قطعت لك على نفسى عهدا فى بورت رويال بأن اكافئك على خدمات معينة قدمتها الى وأخرى كنت ستقدمها فى المستقبل القريب . . أليس كذلك ؟

تغمغم بيرالتا بكلمات غير مفهومة . . وأردف مورجان بحدة :

— نعم . . انك تعرف ياسنيور كيف حافظت على اتفاقنا فى شاجرز مثلا . . !

فتمتم بيرالتا : لست أفهم . . — كلا ! اذن سل السيدة التى بجانبك . . لقد كان زوجها القائد هناك فيما أعتقد .

فغر لون بيرالتا . . ورمى تريزا بنظرة . . لو أن من النظرات مايصعق لصعقتها فى التو . ولزم الصمت . . واستطرد مورجان : ان الموت جزاء من يخوننى . ولكنى سأشنق بغالك . . وأهبك فرصة للحياة . . على الاقل كى اكون صادقا فيما وعدت

فدب الامل فى نفس بيرالتا .. بينما أجفلت بنيتا .. وصاح جيمس معترضا : سيدى

فابتسم مورجان .. وقال :

— لاتخف ياصديق .. لقد اعتزمت أن اتخذ منك منفذ حكمى .. فاذا فشلت .. فستصبح زوجتك أرملة .. وعنـدئذ تـكون من حق هذا الوغد تحقيقا لوعدى

— لن أخفق .

— إذن فقد اتفقنا . لـكن ثم مسألة أخرى .

ونادى أحد رجاله وأمره باحضـار قرطاس وقلم ومداد . فلما جيء بها .. قال مورجان لجيمس باسما : سمعت قصة عن مكيدة دبرها لك هذا الرجل . ونجم عنهـا انهم باعوك بيع الرقيق . ؟

— فأجاب جيمس بحدة : نعم ! لقد أقسم كذبا بانى أتآمر على جـلالة الملك لـكي يحكم على بالاعدام ويخلو له الجو ، فيظفر بأملاكى وضـياعى ولـكن المحـكمة استعملت الرأفة واكتفت بنفيي إلى المزارع

فأومأ مورجان برأسه .. وقال :

— ان هذا الوغد مدين لك باصلاح الخطأ على الأقل ياسير جيمس . وبحق السماء سيفعل ذلك . خذ القلم والورق يابيرالتا . واجلس الى المنضـدة التى فى أقصى الغرفة واكتب اعترافا صريحا بكل ما اقترفت يداك الآثمتان !

فتردد بيرالتا .. وبدا عليه الجزع .. وعندئذ صاح مورجان بصوت كالرعد :

— أتتردد أيها الاحمق ، هل تعصى ارادتى ؟ اذن فالويل لك ..

فانتفض بيرالتا ولم يجد مناصا من الاذعان . فسـار الى المنضدة المنعزلة .. وكتب اعترافه .. ثم قدمه الى مورجان الذى قرأه باهتمام . ثم أمر بيرالتا بتوقيعه باسمه الحقيقى . ثم تناول القلم وسجل اسمه فى ذيل الاعتراف .. وطلب الى رينجولد أن يوقع أيضا بمثابة شاهد مثله ..

وقال وهو يقوم الوثيقة لجيمس :

— اليك هدية الزفاف منى لك ولزوجتك الطاهرة .. سوف تمـكنك هـذه الوثيقة من اظهار براءتك فى انجلترا واستعادة أملاكك .. والآن حانت لحظة المبارزة هاما .

فاستل كلا الرجلين حسـامه .. ومضيا إلى البقعة التى اختارها هنرى مورجان ووقفا وجها لوجه ..

الخاتمة

التقى السيفان .. وحبس جميع من فى القاعة أنفاسهم

كان قتالا رهيبا . . . فكلا المتبارزين يدرك تمام الادراك أن مصيره معلق بانتصاره . . . .

ولم يكن بيرالتا بالغريم الذى يستهان به . . لكن حقده المتأصل كان يطيش بحرصه فى بعض الأحايين . . وأما جيمس فكان يتحرق لهفة على الثأر لما عاناه من عذاب .

ولكنه من ناحية أخرى كان أشد حرصا على حياته من أن يفرط فيها .. فيظفر عدوه الألد بزوجته . .

واحتدم وطيس القتال . . فلم يكن يسمع غير صليل السيوف المخيف اويرى غير الغريمين وهما يثبان وثبات النمر المتحفز . .

الى ان عرضت لبيرالتا فرصة ذهبية فانقض على غريمه وسدد اليه طعنة كادت تنفذ من قلبه . . لولا ان انزلقت قدم جيمس وهو يتفادى الطعنة . . فاصابه الحسام فى كتفه . . وصاح بيرالتا صيحة الظافر . . وتلطخ حسامه بدم غريمه

وانبعثت بنيتا واقفة . . وصاحت بفزع : زوجى ! !

وكان لصيحتها تأثير مباشر على الرجلين . . فتحمسا للطعنة القاضية . .

وراح جيمس يضيق الخناق على عدوه حتى انهك قواه . . وبدأ اليأس يتسرب الى قلبه . . فامتقع وجهه .. وطفر العرق من جبهته . .

وعندئذ قال جيمس : آه ! لقد تحققت امنيتى اخيرا ياابن العم روجر !

فهتف بيرالتا مأخوذا : بالجحيم ! ماذا تعنى ؟

فضحك جيمس ضحكة جوفاء . . واجاب :

— لقد اقسمت ان أرى الذعر مجسما فى عينيك قبل ان أقتلك . . وهأنذا أرى أمنيتى تتحقق . . والآن . . . .

ولكنه لم يتم عبارته . . ذلك ان بيرالتا شعر بدنو النهاية . . فصرخ صرخة مروعة ووثب الى الخلف . . ثم قذف غريمه بحسامه كما لو كان رمحاً . . فانغرس الحسام فى عنق جيمس . . وجعله يترنح . . ثم يسقط فوق ظهره

وصرخت بنيتا صرخة مروعة . . بينما صاح رينجولد صيحة غضب مفرط . وزمجر المتفرجون فأدرك بيرالتا مغبة فعلته . . وتحول الى الباب ينشد الفرار . ولكن الحراس اعترضوا طريقه فراح يعدو فى الغرفة كالطير السجين

وصاح مورجان : يالك من شيطان زنيم ! . . نادوا خمسة من الحراس

فأسرع أحد الحاضرين لتلبية الأمر . . بينما خفت بنيتا ورينجولد الى جيمس

وكان بيرالتا قد كف عن الركض . . وراح ينظر الى الجريح نظرة الشامت المتشفى . .

ثم قال لبنيتا بصوت مرتفع :

— لقد أصبحت أرملة . . فهو الآن فى طريقه الى جهنم !

فصاح مورجان هادراً :

— سوف تسبقه لتستقبله عند أبوابها أيها النذل !

وكان الحراس قد جاءوا فى تلك الأثناء . . فقال مورجان :

— خذوا هذا الوغد واشنقوه !

فأحاط الحراس ببيرالتا . . وساقوه الى الخارج

وكان هذا آخر عهد أنطونيو بيرالتا بالحياة

وتقدم مورجان من بنيتا . . وقال بلهجة تفيض حزنا : يؤسفنى ياسنيورا أن تنقلب القصة الطريفة التى دبرناها الى مأساة . . لكن ثقى ان زوجك سيشيع كجندى باسل .

فقاطعه رينجولد بحدة : انه لم يمت بعد ياهنرى

وصاحت بنيتا :

— ولن يموت . . سوف أسكب حياتى فى شرايينه . . وأدعو الله ليبقى على حياته

— أرجو من صميم قلبى ان تتم هذه المعجزة

وأفسحت بنيتا مكانا للطبيب الذى استدعى على عجل . . فضمد الجرح . . ثم هز رأسه فى يأس . . فتمتم رينجولد :

— ياللطبيب الأحمق ! انه يظن ان جيمس سيموت

ولكنه كان يعجب كيف يستطيع ان يواسى بنيتا لو كان الأحمق على صواب

* * *

وشاءت العناية الالهية ان يخطىء الطبيب التقدير

فبعد أيام طويلة قضاها جيمس بين الحياة والموت . . بدأت تخف وطأة الحمى . . وانتظمت انفاسه . . ونام نوما هادئا .

وكانت بنيتا لا تفارقه ليل نهار ، وهى تبتهل إلى الله ان يحفظ لها حياة زوجها . .

واما رينجولد فكان المثل الأعلى للصديق الوفى . . كما كانت تريزا مثلا صادقا للبذل والتضحية

وعندما فتح جيمس عينيه لأول مرة . . واستقرتا على بنيتا .. هتف فى ابتهاج :
— بنيتا ! ! زوجتى ! !
فصاحت الفتاة صيحة طرب . . واقبل رينجولد وتريزا من الخارج وقد تهللت اساريرهما .

« ✻ »

وعندما تمالك جيمس قواه . . شرع رينجولد يفضى إلى صديقه بما حدث .
قال : لقد جئنا بك إلى بورت رويال منذ ثلاثة أسابيع .. فقد كانت السحب تتجمع فى بناما . حيث تمرد القراصنة لأنهم لم يصيبوا حظا كبيرا من الغنائم .. ولست اكتمك يا صديق اننى بدأت اسأم هذه الحياة الصاخبة . . وقررت ان أرحل الى انجلترا ومعى تريزا بمجرد ان تتمالك قواك .
— هل ستذهب تريزا معك ؟
— ستلحق بى بعد قليل . عندما يتمكن أخوها من تصفية أملاكهما فى بناما
فضحك جيمس . . وقال :
— أرجو لك حظا سعيدا ياصديق .
وأقبلت المرأتان فى تلك اللحظة . وكانت بنيتا تحمل القرد جاكو فوق ذراعها . وتريزا تسير الى جانبها .
فقال جيمس يداعب تريزا :
— أرأيت ؟ لقد اعتزم صديقى أن يتزوج غلاما هنديا ! !
فضحكت المرأة . . وقالت :
— سيان عندى تزوجنى أم تزوج الصبى ! !
فضحك رينجولد . وقال :
— ولكنه صبى جميل . . اسود العينين . . أهيف القامة . وله اسم نسائى .. فهل تعلمين ما اسمه ؟ انه يدعى تريزا دى ايكو . . لكن لا . لقد انقضى عهد ذلك الاسم . . وعما قريب يحمل اسما جديدا
وقد حققت الايام أمله . .

(تمت)

اعلانات قضائية

⊙ فى يوم ١٤ اغسطس سنة ٩٤٠ الساعة ٨ ف صباحا والايام التالية اذا لزم ببندر الاسماعيلية

سيباع سرير حديد ومرتبه حشو قطن وأشياء أخرى موضحة بمحضر الحجز

ملك الخواجه ديمترى بطاريه الرومى

نفاذا للحكم ن ٦٩٥ سنة ٩٤٠

وفاء لمبلغ ١٥٩ صاغ خلاف أجرة النشر وما يستجد

كطلب المعلم عبد الرحيم محمد حسانين الجزار ومقيم بمحله بعرايشة مصر بالاسماعيلية

فعلى راغب الشراء الحضور

١٠٨

● فى يوم ٧ سبتمبر سنة ٩٤٠ الساعة ٨ ف صباحا بناحية كفر سرنجا مركز ميت غمر

سيباع ١٠٠٠٠ طوبه حمراء سفره ضمن قاميته مبين أوصافها بمحضر الحجز

ملك احمد حسانين حلاه

وفاء لمبلغ ٥ ج ٣٣٠م خلاف ما استجد ويستجد

وكان محددا لبيع هذا يوم ١٧ يوليو سنة ٩٣٧ وأوقف لعدم وجود مشترى

نفاذا للحكم ن ١٦٠٢ سنة ٩٣٧ ميت غمر

كطلب عوض افندى متولى عبد الرحمن الذى آل اليه هذا المبلغ من المحكمة لصالحه عبد الله أبو المجد عامر والذى تنازل للطالب عن هذا الحكم

فعلى راغب الشراء الحضور

١٠٩

● فى يوم ١٩ اغسطس سنة ٩٤٠ الساعة ٨ ف صباحا لما بعدها بالقباب الكبرى مركز دكرنس مديرية الدقهلية

وفى يوم ٢١ منه بسوق دكرنس اذا لزم

سيباع جاموسه شعله

ملك الشيخ منصور ابراهيم الخولى

نفاذا للحكم ن ١٨٦٧ سنة ٩٤٠

وفاء لمبلغ ٦ ج و ٤٢٠م خلاف مايستجد

كطلب عبد المنعم افندى خليل وكيل شركة نترات الصودا الشيلى بدكرنس

فعلى راغب الشراء الحضور

١١٠

● فى يوم ١٩ اغسطس سنة ٩٤٠ الساعة ٨ ف صباحا وما بعدها بسوق المطيعه مركز اسيوط

سيباع ٨ أرادب قمح هندى

ملك احمد محمد سلام

وفاء لمبلغ ٩٨٣ صاغ ونصف

نفاذا للحكم ن ٣٩٧٩ سنة ٩٤٠

كطلب ناروز افندى شنوده المقيم بحارة البحرى ن ٦ تبع قسم روج الفرج

فعلى راغب الشراء الحضور

١١١